مجانا مع القاهرة
الكتاب الجيب
٧٢
هدية العدد ٤١١ « ٤ مارس ٢٠٠٨ »
مائدة افلاطون
كلام في الحب
الجزء الثاني
ترجمة: محمد لطفي جمعة

مجاناً مع جريدة القاهرة

■

رئيس مجلس الإدارة

فاروق عبد السلام

رئيس التحرير

صلاح عيسى

تصميم الغلاف: **محمد الغول**

■

جريدة اسبوعية ثقافية عامة

تصدر كل ثلاثاء عن وزارة الثقافة

الادارة والتحرير:

٩ شارع حسن صبري-الزمالك-

القاهرة.جمهورية مصر العربية

هاتف: ٢٧٣٧٣٠٤١

فاكس: ٢٧٣٧٣٠١٨

Email: alkahera@idsc.net.eg

سلسلة شعبية تعيد إصدارها

دار المدى للثقافة والنشر

رئيس مجلس الادارة والتحرير

فخري كريم

الاشراف الفني

محمد سعيد الصكار

سورية - دمشق ص. ب: ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦
تلفون : ٢٣٢٢٢٧٥ - ٢٣٢٢٢٧٦ فاكس : ٢٣٢٢٢٨٩
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy
لبنان - بيروت- الحمراء- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول
تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb
العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
almadapaper.com
almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com



٧٢

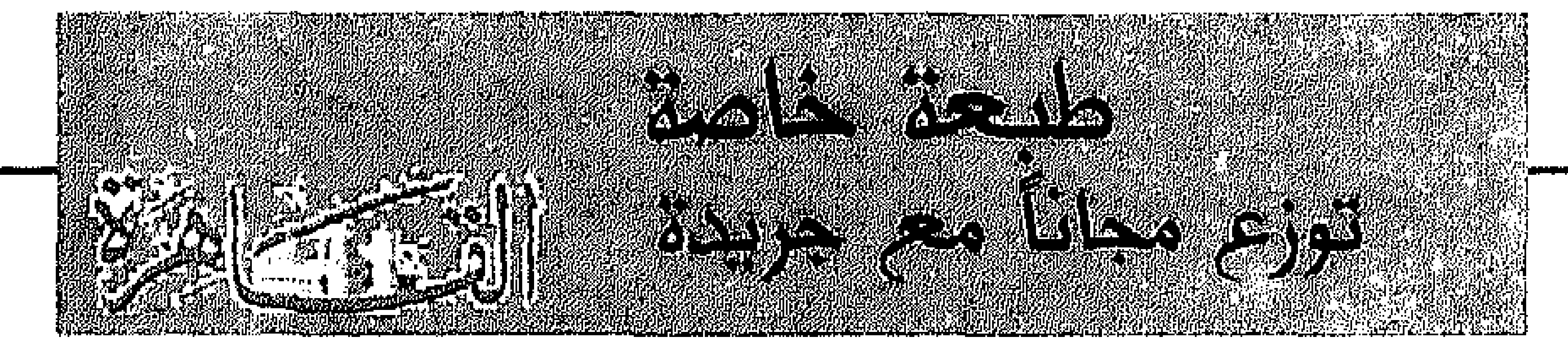
أفلاطون

مائدة أفلاطون

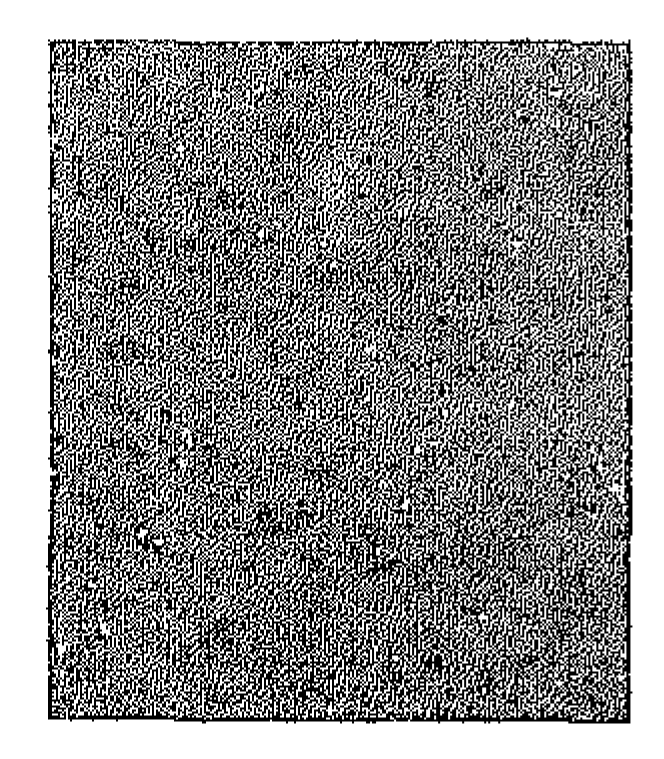
كلام فى الحب

الجزء الثانى

ترجمة: محمد لطفي جمعة



دار المدى للثقافة والنشر
بالتعاون مع المجلس الأعلى للثقافة بمصر
٢٠٠٨



ما كتبه العرب عن أرسطو

قال المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي إن معنى اسم أرسطو كامل الفضيلة ومعنى اسم أبيه قاهر الخصوم. وكان أبوه فيثاغورى المذهب

وأرسطو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية وصورها بالأشكال الثلاثة وجعلها آلة للعلوم النظرية.

وذكر له القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية الكتب الآتية المناظر _الخطوط _الحيل _سمع الكيان _السماء والعالم _ الحيوان _النبات _النفس _الحس والمحسوس _الصحة والسقم _الشباب والهرم _ ما بعد الطبيعة _اوذيميا _سوفسطيقا _السلوجسموس ولا حاجة بنا إلى القول بأن هذا خلط لا معنى له ولا يحتاج إلى تفنيد ولكن ذكرناه لأن القاضي صاعد من أكبر الثقات في تاريخ الفلسفة عند العرب وادعى القفطي المتوفى ٦٤٦ هجرية في أخبار العلماء بان أرسطو خلف أفلاطون في التعليم في مدرستين وهذا غير صحيح فإنه لم يخلفه حتى ولا في مدرسة واحدة ثم أخذ القفطي ينسخ أقوال صاعد الأندلسي بغير تمييز ويضيف عليها مثلها ثم روى عن محمد بن اسحق النديم أن سبب اهتمام المأمون بكتب اليونان رؤيا رأى فيها أرسطو وهو ابيض مشرب بالحمرة واسع الجبين مقرون الحاجبين حسن الشمائل (ولا ينقص إلا أن يقول سكرى المبسم) وأن المأمون سأله إلى آخر ما جاء به في هذه الخرافة وذكر ابن اسحق المذكور أن معنى أرسطوطاليس محب الحكمة(!!) وأن أرسطو لم ينظر في الفلسفة إلا بعد أن جاوز الثلاثين من عمره! ثم سرد الكاتب العربي وصية أرسطو بشأن أولاده وذكروا سنة عند موته "٦٧ عاماً والله أعلم"

وأن مؤلفاته هي قاطغورياس (المقولات) وباريميلياس (العبارة) وانولوطيقا (التحليل) وأبوديقطيقا (البرهان) وطوبيقا (الجدل) وسوفسطيقا (المغالطون) أو (الحكماء المموهون) وريطوريقا (الخطابة) وبوطيقا (الشعر)

ونحن لا نريد الغض من قدر هؤلاء الكتاب ولكن الذي يدهشنا منهم إلقاء القول على عواهنه وعدم التحقيق من معنى الاسم أو السن أو تاريخ الميلاد والوفاة

فإن كانت هذه حالهم في بسائط الأمور فكيف حالهم في جليلها ؟

ولم ينج أرسطو من التكفير في نظر بعض كتاب العرب فقد قال الوزير جمال الدين في كتابه أخبار الحكماء إن أرسطو رأى كلام أفلاطون وسقراط مدخول الحجج متزلزل القواعد غير محكم البينة في الرد والمنع فهذبه ورتبه وحققه ونمقه وأسقط ما ضعف منه غير أنه لم يكن مستنداً إلى كتاب منزل ولا إلى قول نبي مرسل فضل الطريق.. وإن الفارابي وابن سينا وافقاه على شيء من أصوله فكفرا بكفره وإن أقدامهما زلت كما زلت قدم أرسطو وقد كفر الثلاثة بقولهم في ثلاث مسائل خالفوا فيها كافة الإسلاميين وهي أن الأجساد لا تحشر وان المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة والعقوبات روحانية لا جسمانية والثانية في صفة الله عز وجل بأنه يعلم الكليات دون الجزئيات وقولهم بأزلية العالم وقدمه.

والذي يدهشنا بعد ما تقدم من ذكر الفروق المهولة بين أرسطو وشيخه وهي فروق سحيقة لا يملأ فراغها ولا يسبر غورها أن حكيماً عظيماً وفيلسوفاً جليلاً اشتهر بالوقوف على آراء الحكيمين ونقلهما وتفسيرهما وهو أبو نصر الفارابي الذي يسميه كتاب العرب المعلم الثاني بعد أرسطاليس المعلم الأول قد تعرض إلى عمل من أبعد الأعمال عن الحكمة وأقلها نفعاً وأقصاها عن العقل ألا وهو التوفيق بين الفلسفتين الروحانية والمادية.

وكتبت في ذلك رسالة أسماها "الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون الإلهي وأرسطوطاليس" قال في مقدمتها "إن الذي دعاه إلى تأليفها أنه رأى أكثر أهل زمانه قد تنازعوا في حدوث العالم وقدمه وادعوا أن بين الحكيمين المبرزين اختلافاً في إثبات المبدع الأول وفي وجود الأسباب وفي أمر النفس والعقل وفي المجازاة على الأفعال خيرها وشرها وفي كثير من الأمور المدنية والخلقية والمنطقية".

نقول إن أهل زمان الفارابي قد صدق نظرهم في مشاهدة هذه الاختلافات فإنها حقيقية وغريب أنهم يرونها وهو حكيم ولا يراها. ولكن عز عليه أن يكون الأستاذان مبدعي الفلسفة ومنشئيها وأن لا يكونا على وفاق تام.

الفلسفة بعد أرسطو (الرواقيون)

لما كانت الفلسفة محتاجة إلى قوة العقل وقوة الخلق فإنه لم يظهر بعد أرسطو من هم جديرون بالذكر في تاريخ الفلسفة إلا الرواقيين والمشككين والأيقوريين.

زعيم الرواقيين أو المستخفين بالآلام زينو ٢٦٤ - ٣٣٦ق م وهو قبرصي الأصل سامي الجنس جاء إلى أتينا ودرس على كراتيس تلميذ ديوجين الكلبي وقد ذكرنا أن مؤسس مذهب الكلبيين أو السنيك هو انتيستين تلميذ سقراط. وتلقى العلم أيضاً على هيبياس وبروديكوس اللذان أذاعا فكرة العودة إلى الطبيعة وقالا بان الإنسان يعد ابن العالم لا ابن بلد واحد. وحاربا الأكاذيب المتواطأ عليها في المدنية والاجتماع وأرشدا الناس إلى الحياة البسيطة. ويمكن القول بالجملة بغير تقليل من فضل أستاذي وحبيبي جان جاك روسو إن الفضل في مذهبه يرجع إلى هذين الحكيمين وصدق من قال إن فضل فلاسفة اليونان على العالم لا يقدر فإنه ما من فكرة وما من مذهب قديم أو حديث إلا وهم غارسو بذرته وواضعو أساسه حتى مذهب نيتشه الألماني يرجع إلى قول زينو الرواقي إن التاريخ يعيد نفسه ورأي هربرت سبنسر في الجزء "الذي لا يعلم" Unknowable راجع إلى قول بلوتينوس رئيس مذهب الأفلاطونية المستحدثة وفلسفة ديكارت خليط من سقراط وفيثاغورس ومذهب برجسون القائل برجوع النفس إلى الماضي وإشرافها على المستقبل ليس إلا طرفاً من رأي أفلاطون في الافتطار وهو ترجمة كلمة Intuition. ونظرية التطور والترقي هي مما قال به طائفة من الحكماء الأقدمين مثل أناكساغور وهيراقليط وأرسطو وغيرهم. وفكرة الإلكترونات هي فكرة الذرات التي قال بها أبيقور نقلاً عن ديموقريط مباشرة وهذه الفكرة هي التي يقول بها العلم الحديث عن أصل المادة ويزداد عجبنا وحسرتنا وأسفنا على جهلنا إذا علمنا أن الفلسفة اليونانية منذ أسسها تاليت دي مليت أو تاليس الملطي كما يسميه مؤرخو العرب ليست إلا شعاعاً من النور الذي انبثق من مصر فقد رحل إليها تاليس وفيثاغورس وأفلاطون وكل عظيم من

فلاسفتهم لم يخط حرفاً لم يكن تلقى أصله عن مصر العظيمة فانظر أيها المصري وقارن وتأمل.

بعد هذا الاستطراد نعود فنقول أن انتستين وديوجين الكلبيين حاولا هداية الناس إلى الحياة البسيطة ولكن أهل عصرهما سخرا منهما كما سخر معاصرو روسو منه.

ولكن زينو رئيس الرواقيين اقتدى بهما في النصح باتباع الطبيعة في كل شيء. ثم أنه قاوم المذهب الروحاني في فلسفة أفلاطون وأرسطو وقال إنه لا يوجد في الإنسان إلا الجسم وقد عاد بذلك إلى الفلسفة اليونانية المادية القديمة. وبعث آراء هيراقليط من أن النار أصل كل شيء.

وقال زينو بان كل فترة من التاريخ هي عبارة عن صورة طبق الأصل من الفترة السابقة وهذا المبدأ فيثاغورى في أصله وهو رأي يقصي الاختيار عن أعمال البشر ويؤيد أننا مسيرون وأننا كائنات ضعيفة في أيدي القضاء والقدر. وهذا هو الرأي الذي انتحله فردريك نيتشه وبنى عليه فلسفته ولم يذكر منشأه. ولكننا لا نسمي هذا سرقة أدبية ولكننا نفسره بتوارد الخواطر. لأنه شتان بين هذا الرأي في بساطته وبين البناء الشامخ الذي شاده نيتشه. وليس هنا مجال الكلام في هذا البحث الجليل اللذيذ.

وقال الرواقيون بان الله مادة تملأ الكون والعالم وإن خلقه العالم ثمرة مهارة فائقة وقدرة لا حد لها كان الكمال والخير رائديهما. وإن العالم إنما خلق لخير الإنسان. بل هذا هو المبدأ القائل بأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان المعروف بتليولوجيا وقال به سقراط وأفلاطون وأرسطو. ويمكن تسميته بحسب الاصطلاحات الحديثة الاستبشار أو "أوبتمزم" وأفضل من يمثل هذا المبدأ في المحدثين ليبنتز أحد تلاميذ ديكارت (راجع فلسفة ديكارت تأليف بوليه جزآن طبع ليون) وألطف من هزأ هذا المبدأ وسخر منه فولتير في قصته البديعة "كانديد" فليقرأها من يشاء.

وقد استعان الرواقيون بكلمة قالها هيراقليط وهي "لوغوس" ومعناها اللفظي كلمة والمعنوي العقل المنتشر في الكون وأطلقوها على معنى الخالق فقالوا إن الكلمة هي الخالق وإن الخالق هو العقل الذي يوجد الأشياء والمادة التي تخلق منها الأشياء وقد نسب بعض المفكرين بعض مبادئ الدين المسيحي الجليل إلى هذه المدرسة الفكرية وعينوا ألفاظاً بالذات قالها بولس الرسول وادعوا أنه اقتبسها من الشاعر أراتوس

تلميذ زينون وجار بولس الرسول في وطنه وهوطرسوس وكانت مقراً لمدرسة رواقية (أعمال الرسل) وقد تأثر الرواقيون بآراء أفلاطون فقبلوا القول ببقاء النفس بعد الموت ولكن حياتها إذ ذاك لا تطول عن حياة العالم التابعة له. ثم تعود كغيرها من الكائنات فتمتزج بالمادة الإلهية لتخلق من جديد. وأن كل فترة من حياة العالم تكرر بحالتها لأن الكمال لا يحتاج إلى تعديل وهكذا تستمر الفترات تترى إلى أبد الآبدين.

وكان استبشار الرواقيين "أوبتمزم" في اعتقادهم أن العالم مخلوق بفكرة الخير ويقولون إن اللذة ليست خيراً كما إن الألم ليس شراً وقد أخطأ هربرت سبنسر إذ قال أن الاستبشار معناه الاعتقاد برجوح كفة اللذة على كفة الألم في العالم فكأنه يوحد بين اللذة والخير وبين الشر والألم وهي مختلفة ويقول الرواقيون إن الفضيلة هي الخير الوحيد وكانوا يحاربون الرذيلة ويعتقدون أن ما في العالم من خير أو ضده صادر عن إرادة الخالق وفعله.

وكان أفلاطون أحذق منهم لأنه نسب الشر للمادة وبذلك فر من نسبة صدوره إلى الخالق كذلك أرسطو لم تعرض له هذه المشكلة لأنه لم يقل بخالق وكانوا ينكرون المعجزات ويعتقدون بأن الحوادث متعاقبة متسلسلة غير منقطعة ومتصلة بأول الدنيا وأن الحرية الإلهية ليست مطلقة وأنها مقيدة بمنطق الوجود الذي عين الأشياء وحددها كبيرها وصغيرها في سائر دوائر الخليقة ولأجل هذا فإن التعبد والصلاة لا يغيران مجرى الحوادث ولا يقلبان نظام الطبيعة لمصلحة المصلي وأن الأقدار سائرة بقوة اندفاع اكتسبتها منذ الأزل وتستمر عليها إلى آخر الدهر وأن الله عز وجل لا يريد أن يتداخل بنفسه لينقذ رجلاً عادلاً مما كتب له في صحيفة القضاء

فاعترض الناس على هذا القول وقالوا كيف يرضى الله سبحانه وتعالى في هذا العالم الذي تقولون عنه أنه أفضل العوالم وأعمها خيراً أن يهلك الفاضل العادل ويسعد الشرير فقالوا إنما قلنا إن هذا العالم أفضل العوالم إمكانا وأن هناك ضرورات منطقية لا تدركها عقولنا تقضي أن يظهر الشر بجانب الخير وربما كان حدوث الخير متوقفاً على وقوع الشر! وان قانون التناسب الخلقي يقضى باجتماع الأضداد لتتميز الأشياء فلا يعرف الخير إلا إذا عرف الشر كما أنه لا يعرف النور بغير الظلام ولا الحر بغير البرد وأنه إن لم يكن في العالم باطل فلا محل للحق!!

ولما كان الرواقيون قدريين فقد حدث أن رقيقاً لزينون سرق فلما مثل بين يديه قال له العفو يا مولاي فأنني سرقت لأنه مقضي عليّ منذ الأزل أن أسرق ولا أستطيع

رد القضاء فأجابه زينون وأنا أيضاً مقضي عليّ أن أجلدك عقاباً لك ولا أستطيع رد القضاء! وهذه الحادثة البسيطة تجعل حق العقاب على الذنوب مرتبطاً بالمنفعة العامة. وهذا هو الرأي الذي قال به بعد ذلك بنتام بعشرين قرنا وأكثر (راجع ترجمة كتابه لفتحي زغلول)

ولكن الذي جعل تعليل زينون في جلد عبده مقبولاً هو أن العقاب على الذنوب قاصر على الحياة الأرضية لأنهم لا يعتقدون في نعيم ولا جحيم ولا خلود ولا بعث ولا حياة بعد الموت. والذي يحير العقول في مذهبهم أنهم لم يعرفوا الفضيلة واكتفوا بالأمر بإتباع الطبيعة.

لما توفى زينون خلفه كليانت ٣٠٠ - ٢٢٠ في زعامة الفرقة الفلسفية الرواقية وهو إغريقي من ترود وقد حل أثينا معدما فاستعان على مطالب الحياة بتوزيع المياه على النواطير المجاورة وكان في أوقات فراغه يدرس الفلسفة وان صحت هذه الرواية أو كذبت فإنها تدل على أن العامل في بلاد الإغريق كان لا يعدم حب الفلسفة ولا الفراغ للدرس. وقد روى المؤرخون أن فيلسوفنا الشهير أبا نصر الفارابي كان بستانيا. وكان كليانت السقاء حكيماً وشاعراً أيضاً وقد نظم نشيداً لتمجيد الإله زفس معبودهم في ذلك الحين جاء فيه:

"أيها القوي! تعددت أسماؤك وعظم مجدك بين الخالدين يا جوف يا مصدر الطبيعة الأول. يا من ترشد الأشياء بالقانون إن عبادتك فعل مقدس. نحن الناطقين أبناءك على الأرض قد فضلتنا على جميع المخلوقات. إن الكون المحيط بالعالم الأرضي يطيع إشارتك لأن سيفك حاد وقوي ولا يغلب إنك مالك الدنيا ومديرها وأنت الكلمة وصاحب العقل المدير (لوغوس). لا قادر إلا أنت ولا خالق إلا أنت. أنت الحكيم تقوم المعوج وتنظم الفوضى وتجمل الدميم. إن الذين لا ينظرون إليك ولا يسمعون أمرك لا ينالون شيئاً من هناء الدنيا وخيرها. إن الناس قد ضلت فعبدت المال والحب والطمع. فأنقذهم يا جوف العظيم من وهدة الجهل إنك بذلك جدير وعليه قدير!"

ويظهر أن هذا التعبد الحار كان صادراً عن قلب السقاء الفيلسوف بإخلاص فأدى به إلى التعصب الذميم فلما ظهر أريستارخوس العالم الذي قال بدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس (قبل جاليليه بخمسة عشر قرنا) أمر كليانت باتهامه بالإلحاد لمعاقبته أمام جميع أهل أغريقيا ولا يذكر التاريخ مقدار ما وصل إليه من

تهييج الرأي اليوناني ضد العالم الفلكي ولكن نظرية النظام الشمسي قتلت في مهدها بفضل ذلك السقاء الفيلسوف المصلي..

وخلفه خرسيبوس وسار على سنة أساتذته في سمو الفكر وبساطة العيش وقد قوى المذهب ودعمه حتى استطاعت مبادئه المقاومة خمسة قرون إلى أن ظهر بلوتينوس وحطم آراء الماديين وهو زعيم مذهب أفلاطون المستحدث وسيأتي الكلام عليه.

وظهرت آثار الرواقيين في اهتمام الناس بجمال الطبيعة وحب النساء وفي السعي وراء الملاذ وهذا أدى بهم إلى نظم الشعر التمثيلي وتحولت ميول الناس نحو حب الأرض والتمتع بزرعها وضرعها وهذا أدى بهم إلى الاشتغال بسياسة الأراضي فاتحد أحد فلاسفتهم سفاروس مع الملك كليمومينيس في الإصلاح الزراعي الذي تم في اسبرطه. وقام بلوسيوس بتهذيب الاخين الرومانيين جراكوس ودربهم على طرق الإصلاح الزراعي في رومه وقد أدى تشبعهما بهذه المبادئ لأحداث الثورة المعروفة باسمها في التاريخ الروماني وقد انتشر المذهب الرواقي في رومه فعلم بعض أهلها المفكرين القناعة وبساطة العيش وبذل النفس في سبيل الجمهورية وظهر من رجاله كاتون الصغير الذي ذهب ضحية مبادئه.

وقد أنتج هذا المذهب في رومه ثلاثة من فحول الكتاب المصلحين وهم سنيكا (مهذب نيرون) وابيكتيت (كاتب أخلاقي) ومارك أوريل (إمبراطور فيلسوف) ويرجع الفضل لهؤلاء الثلاثة في نشر المذهب وإعلاء شأنه في العالم المسيحي.

كان سنيكا إسباني المولد (٣ق.م - ٦٥ب.م) جلبته اجربينا من منفاه ووكلت إليه تهذيب ولدها نيرون الذي صار بعد ذلك عاتية رومه وأفظع الظالمين فعينه وزيراً ثم عزله فتآمر عليه وكان يرجو من وراء المؤامرة أن يخلفه على العرش.

أما ابيكتت فكان معتوقاً وعاش في القرن الثاني للمسيح يرتزق بتعليم الحكمة وهو صاحب المثل السائر "احتمل واصفح". وفيه من تعاليم التسامح المسيحي ما فيه.

أما مارك أوريليوس (١٢١ (180 _فيكفي في ذكره بالفضل أنه لم يشبهه في ملوك الإفرنج إلا اثنان الملك أرتور المتصوف والقديس لويس المجاهد الصليبي.

ومبادئ هؤلاء الفلاسفة الثلاثة يمكن التعبير عنها بثلاث كلمات "الضمير والواجب والإنسانية"

فعبارة الضمير هي أرقى ما وصل إليه البحث العقلي والبحث الخلقي في فلسفة اليونان وعبارة الواجب مرتكزه على قول الرواقيين بأن لوغوس خلق العالم وفرض لكل ذرة وظيفة تؤديها. فالواجب هو أساس الوجود فالإنسان مخلوق ومحاط بظروف معينة تجعله بذاته قادراً على القيام بأعمال معينة لا يستطيعها سواه. وقد أخذ جول سيمون فكرة الواجب وشرحها شرحاً مطولاً في كتاب معروف نقلنا بعضه إلى اللغة العربية ونشر في احدى المجلات في ١٩١٢ ثم نقله إلى العربية برمته غيرنا. والإنسانية معناها حب الناس بعضها بعضاً والامتناع عن إلحاق الأذى ببعضهم وأن الرق مخالف للقانون الطبيعي وينبغي محوه من الوجود وقال سنيكا إن الناس تولد بحقوق متماثلة وقد بنى رجال القانون على هذا الرأي مبدأ تحرير الناس.

والذي ساعد على نشر هذا المبدأ الرواقي في رومه وفي المسيحية هو كونه فلسفة دينية غايتها القول بوحدة الوجود الطبيعي والمادي والروحاني.

السينيك المشككون أو "المرتابون"

بعد أن مات أفلاطون حل محله في الأكاذيمية رجال تعلقوا بدراسة محاوراته الأولى وهم يمتون بحبل الفكر إلى بروتاغوراس وجورجياس أكثر منهم إلى سقراط. وأعظمهم قدراً ارسيسيالوس (٣١٥ - ٢٤٠) وكارنياديس (١٢٨ - ٢١٣) وقد حولا قوة انتقادهما إلى خريسبوبوس مصلح الرواقية وزعيمها بعد زينون ومما قالاه عبارات تشكك في كافة الحقائق المعلومة سعياً وراء هدم نظرية المعرفة التي أساسها العلم بالحواس والشعور بالعالم الخارجي.

والذي سوأ مركز الرواقيين هو أنهم كانوا يؤمنون بآلهة اليونان ذكوراً وإناثاً ويصدقون بالوحي والتنبؤات. لأجل هذا هجم كارنياديس على الرواقيين ونقد فلسفتهم ووضع أساس فلسفة التشكيك. وكان مبدؤهم الترجيح في خطط الحياة. وقد نجحوا في هدم غرور خصومهم وأوصلونا إلى اوريل وسينكا وابيكتت.

١ انظر صفحات ١٠٥ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ٢٠٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، وغيرها من الصفحات ، حيث تتكرر الفكرة كثيراً وهو ما وجدناه اليوم في مؤلفات عربية واجنبية متعددة ، وهو ما كان كاتبنا سباقاً إليه .

الأبيقورية أو "فلسفة الملاذ"

مدرسة فلسفية مركزها وسط بين السابقتين وهي أقرب إلى المشككين منها إلى الرواقيين.

أما أبيقور مؤسسها وزعيمها فكان جاهلاً بمبادئ العلوم الطبيعية وكان لا يعتقد بكروية الأرض ولا بأن الشمس والقمر هما في الحقيقة أكبر مما نراهما ويظنهما بحجمهما الطبيعي!! ولا ندري كيف هيئ له ان ينعش نظرية الذرات التي ظهر فضله فيها بعد موته بتسعة عشر قرنا وكان من أهل ساموس (٢٧٠ - ٣٤٢) وعاش في أثينا وكان محدود العقل ويرى رأي أفلاطون في أن غاية الحقيقة الوصول إلى السعادة وهو يفضل أخف الضررين وأهون الشرين ويكره العقائد الدينية لأنها تشغل نفسه عن اللذة الناتجة عن "خلو البال" ويقول إنه لا يجوز للإنسان أن يخاف من المستقبل بعد الموت لأنه لا حياة هناك وأنكر تداخل الآلهة في شؤون البشر وأنكر الحياة بعد الموت وكان لا يؤمن بها ويذكر القارئ أن ديموقريط قال بمذهب الذرات وهذا المذهب يؤدي بطبيعته إلى الإلحاد فانتحله أبيقور لا تقديراً لقيمته العلمية ولكن لأن انتحال هذا المذهب ينقذه من الاعتقاد الإلهي الذي يؤدي إلى الاعتقاد بتداخل الله في أحوال الدنيا وهذا الذي لا يريده أبيقور لا من وجهة علمية ولكن ليريح فكره ولما كان أبيقور جاهلاً جداً بمبادئ العلم الطبيعي فقد حور في مذهب الذرات تحويراً ظنه يوفق بينه وبين تطور العلم الطبيعي منذ عهد ديموقريط صاحب هذا المذهب إلى عهد أبيقور بعد أن مرت الفلسفة والعلم بارسططاليس العظيم.

وقوة الأبيقورية ليست مستمدة من المبادئ الطبيعية ولكن من بحثها الأخلاقي وجعلها اللذة غاية كل خير ومقصد كل حي في الوجود ولكن هذا المذهب أيضاً وهو تمجيد اللذة لم يكن حديثاً بل قال به من قبل ديموقريط نفسه صاحب مذهب الذرات وإن كان لم يفه حقه من الشرح والتفسير فقد وفاه حقه أفلاطون نفسه في محاورته "بروتاغوراس" ونقحه وهذبه وأيده في "كتاب النواميس". وخلاصة هذا المبدأ في

رأيي أبيقور وأفلاطون أن الفضيلة في الإنسان نتيجة الحذر وليس مقصدنا بالفضيلة إسعاد الناس أو إسعاد العالم ولكن مقصدنا هو إبعاد الأذى عن ذواتنا وضمانة خيرنا الذي هو في حدوث اللذة وانتفاء الألم وهذا المذهب الذي يسميه الإنكليز "هدونيزم" وكان الأقدمون يزيفون هذا المبدأ بتمثيل اللذة في الشهوات البدنية ويطعنون عن اللذة ويمقتونها من طريق الطعن على تلك الشهوات ولكن شرح أفلاطون وتفسيره نظرية اللذة لم يبق مجالاً لهذا الاعتراض لاسيما وأن أبيقور نفسه بين أن اللذة ليست قاصرة على الاحساسات المادية بدنية أو غير بدنية بل أن للشعور المعنوي منها أوفر نصيب.

فذكر قبل موته بيوم واحد إنه تذكر محادثة فلسفية جرت له مع صديق خففت ألمه في داء من أقسى الأدواء وأشدها وطئاً. ولذا كان الابيقوريون يمجدون الصداقة ويعلون شأن الوفاء فيها وربما استعاضوا بلطف العشرة عن قوة الإدراك والبحث العلمي لأنهم كانوا بالفعل جهلاء لدرجة أنهم لم يجرؤوا على تعديل كلمة واحدة مما رسمه "الأستاذ الأكبر" أبيقور وكانوا يعدون التحريف كفراً لا يغتفر لأنهم كانوا قد الهوا زعيمهم وعبدوه وهذه المدرسة الفكرية تدل على الحالة العلمية والعقلية التي وصلت إليها الحكمة بعد زعمائها الأول على أن لمذهب أبيقور أنصاراً عظماء منهم جيو الشهير الذي مات في مقتبل العمر بفرنسا فقد كتب عنها كتاباً عظيماً نال جائزة من جمعية العلوم المدنية والسياسية بباريس وهو يذكر أن كثيراً من المذاهب الحديثة تمت إلى الأبيقورية بحبل النسب (راجع كتابه La Morale d, Epicure et SeS rapports Avee IeS doctrines contemporaines طبع فليكس الكان سنة ١٩١٠)

الأفلاطونية المستحدثة

لما تغلبت مقدونيا على بلاد الإغريق وفازت القوة الغشوم ببطشها المادي على مبادئ الذكاء والعدل والعلم الصحيح.

ولما استولت دولة الرومان بجيوشها الجرارة على ممالك العالم _خفت صوت الفلسفة وانطفأ مصباح العقل تحت تأثير العاصفة وذهبت من النفوس عاطفة الشجاعة المعنوية والتفاني في سبيل الحق والعدل واتجهت النفوس بعد استضعافها نحو العقائد الدينية التي من شأنها تعزية العاجز وتعويده على الصبر والاستسلام ولا يخفى أن تلك العقائد تجلب خلفها طائفة من الأوهام والخرافات وتغري الشعوب بالعيش الرخيم في ظلال الجهل والكسل والتوفر على الراحة والنفور من بذل كل مجهود عقلي غايته رفع الغشاوة عن البصائر. كل هذا يجلبه الاستسلام للعقائد بغير فحص ولا تمحيص وأشد من هذا في نظر الفلاسفة اعتقاد العامة في الخلود الإنساني ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن القول بخلود النفس ليس رأياً دينياً إنما هو رأي ابتدعه أفلاطون وصاغه في قالب بلاغته وكان استفاده من المصريين والفيثاغوريين. وأن الأمم الجاهلة الضعيفة التي تفقد أملها في هذه الدنيا وتبحث عن النور فلا تجده في عقولها التي خيمت عليها الأوهام تبحث عن عزاء خيالي فتلتمسه في فكرة الخلود. هذه هي الحال المعنوية التي بعثت فلسفة أفلاطون من مرقدها لأنها فلسفة دينية بشكلها وموضوعها وفيها كل ما تحتاج إليه النفس المتدينة من عقيدة التناسخ إلى عقيدة الخلود بما في ذلك مذهب التصوف وفكرة الثواب والعقاب في عالم غير العالم الأرضي.

وكان أفلاطون ذاته شبه فيثاغوري فلما بعثت فلسفته كان من نهضتها نصيب لفلسفة فيثاغورس فنفضت عن إرادتها غبار النسيان ونشرت على العقول شباك عتيقة ولكنها قوية من الاعتقاد بالتقمص وسر الأعداد والتنجيم (ولا يزال كثيرون من الشرقيين يعتقدون في سر الأعداد ويستعملونها في السحر والرقى كما تدل على

ذلك مقدمة ابن خلدون وكتب التنجيم وتخوت الرمل وحساب الجمل وهي أثر من الفلسفة الفيثاغورية انتحلها بعض المشعوذين وتبعهم بعض الجهال من أبناء بلادنا)

لما طارد المقدونيون والرومان الفلاسفة من أوربا لجؤوا إلى الإسكندرية وهي إذ ذاك عاصمة يونانية في مصر ومدرستها المشهورة باسمها قد أطلقت علما على مبادئ كثيرة من الفلسفة والأدب ومكتبتها الجلية كانت حافلة بكل أنواع الكتب.

وهي التي احترقت بفعل قنابر (لا يقال قنابل) يوليوس قيصر لدى حصار الإسكندرية في عهد كلويطره. هي تلك المكتبة التي أشاع بعض المتعصبين إن العرب بقيادة عمرو بن العاص احرقوها بأمر من عمر بن الخطاب. واصل هذه الإشاعة نبذة كتبها عبد اللطيف البغدادي وكان رجلاً عصبياً ضعيف التحري قليل العقل وقد سماه أهل عصره بالتيس الملتحي، كان هو أول من نشر تلك التهمة المكذوبة ونقلها عن بعض المؤرخين الذين أعماهم سوء النية عن الحقيقة. ولكن جميع المؤرخين العقلاء من الإفرنج كذبوه في هذه الدعوى ومنهم جيبون المؤرخ الإنجليزي الشهير فقد اثبت أن الذي احرق هذه المكتبة قنابر ومقذوفات يوليوس قيصر وان العرب لما فتحوا مصر كانت هذه المكتبة في عالم العدم منذ أكثر من ستة قرون.

وفي مدينة الإسكندرية ظهر مذهب الافلاطونية المستحدثة على يد بلوتينوس ٢٠٥ - ٢٧٠ ب.م وهو الذي يسميه الشهرستاني بالشيخ اليوناني وفي هذه النقطة خلاف لم يحقق.

وكان بلوتينوس مصرياً وكان متشدداً في المعتقدات الروحانية لدرجة أنه كان يخجل من كون روحه محاطاً بجسد لأجل هذا لم يقبل أن يدون عن تاريخه المادي شيئاً ولهذا لا نعرف عن تاريخ حياته الأرضية قليلاً ولا كثيراً. ولكن الذي يعلمه معاصروه أنه درس جميع المذاهب الفلسفية التي كانت معروفة لعهده وأنه تلقى دروساً في الحكمة على أمونيوس ساكاس الأفلاطوني الذي كان يعلم في الإسكندرية وقد دام تلقيه عليه ١١ سنة ولما مات أستاذه سافر مع الرومان إلى بلاد الفرس مدفوعاً برغبة الوقوف على الحكمة الشرقية ولكن الرومان فشلوا في حملتهم على الفرس فعاد أدراجه إلى رومه وهناك أخذ يلقي دروساً عامة فاحتفى به الرومان ومجدوه وكانت أخلاقه الفاضلة القويمة تعادل علمه وكان الناس في رومه يحتكمون إليه ويكلون إليه الوصاية المختارة على أولادهم القصر. ومات في السادسة بعد الستين من عمره وهو يقول "إني أحاول مزج الجزء الإلهي الذي في نفسي بالقوة

الإلهية السائدة على العالم"

وقد قام تلميذه برفيري (فرفريوس صاحب مقدمة ايساغو لكتب أرسطو المنطقية) بتنظيم كتبه في ستة أجزاء وفي كل جزء منها تسع مقالات اسمها انياد. وقد ترك برفيري ما يدل على تاريخ تدوين هذه المقالات. ويستدل من تاريخ تدوينها أن بلوتينوس بدأ في تدوين مذهبه لما بلغ الخمسين من عمره وأن مذهبه كان إذ ذاك قد كمل في ذهنه ولم يعوزه إلا الكتابة فكتبه. وخلاصة مذهبه مزيج من أفلاطون وأرسطو والرواقيين وغايته في فلسفته دحض الفلسفة المادية التي وضع أساسها الفلاسفة المرتابون (سبتيك) وأبيقور وخريسبوس ورأيه في الشخصية الإنسانية أنها روحانية ولما حاول نقض فلسفة أبيقور انتقدها من حيث عجز صاحبها عن تعليل وجود العقل المدبر الذي يحرك الذرات.

وبلوتينوس يتفق مع أبيقور في القول بأن الإنسان مخير وكلاهما يخالف رأي الرواقيين في أنه مسير. وقال بلوتينوس أن اختيار النفس نتيجة طبيعتها الروحانية. فلما أن قضى بولتينوس وطره بانتقاده على المرتابين والرواقيين والأبيقوريين أخذ في تأسيس فلسفته فقرر أنه يتفق مع أرسطو في رأيه في المادة بصفة كونها "قدرة ممكنة" ثم اتجه إلى فلسفة أفلاطون الأصلية واستعار منها فكرة "الواحد الذي يدل على التعدد والذي لا يوجد بغيره مع أنه مستقل عنه وسابق له ومرتفع عن سائر الوحدات التي يتكون منها التعدد"

وجعل بلوتينوس هذه الفكرة مفتاح فلسفته ودرة تاجها. وكان بلوتينوس ميالاً بفطرته إلى البحث الفكري البحت فنتج عن قدرته الفلسفية وعن اختياره لفكرة أفلاطون التي تخلى عنها هذا الأخير أنه صار أول واضع لأساس التصوف في الغرب بعد أفلاطون الذي ابتدع الفكرة!

ثم يقول بلوتينوس إن جميع الأرواح واحدة (وهذه نظرية وحدة النفوس التي قال بها الفارابي وابن باجة وابن رشد)

ثم يقول بلوتينوس إن "نوس" هو العقل المدبر وأن "الواحد" الأفلاطوني "والأرواح المتحدة" المتعددة تكاد تكون ثالوثا مقدساً أوجد أفلاطون فكرته قبل الثالوث المقدس المعروف ولكن البحث في تحقيق هذه النظرية ليس من اختصاصنا في هذه الرسالة. ويقول بلوتينوس إن الإنسان مكون من روح عليا وهي العنصر الروحاني الذي سبق الكلام عليه ومن روح سفلى وهي التي تدنى الإنسان من عالم المادة.

ويقول إن الروح هي التي أوجدت المادة ويقول بلوتينوس إن النفس الإنسانية بالرغم من كونها محاطة بالمادة تتصل بالعالم الأعلى في حياتها الأرضية وتتحد "بالواحد" وقد بلغ هو هذه الدرجة من الاتصال والاختلاط عدة مرات ولكن تلميذة بروفير لم يتمتع بهذا الاختلاط الروحاني إلا مرة واحدة ومن هذا القبيل "انجذاب" الصوفيين والأولياء الذين يقولون إنهم صعدوا إلى السماء الأولى أو الثانية أو الثالثة كما قال سيدنا بولس الرسول وهذه هي حالة "الاجزتاز" الجميل الذي لا يناله إلا السعداء وهي حالة التجرد من الجسم والارتقاء بالروح إلى أسمى درجات الوجود الروحاني ومعنى القول إن الروح "تسري" بالإنسان إلى السماء والعلم الحديث يفسر هذه الحالة بأنها نوع من الغيبوبة المغنطيسية (راجع ص ١٤٨ من تاريخ الفلسفة القديمة تأليف و. بن طبع لندن ١٩١٢)

وقد استمرت هذه الفلسفة ذائعة لمدة ٢٥٠ عاماً بعد موت مؤسسها وخلفه بروكلوس (٤١٢ - ٤٨٥)ب. م ومن آثارها نشر فضل أفلاطون ومناصرته وتقديم مذهبه على مذهب أرسطو

وفي سنة ٥٢٩ أمر الإمبراطور جوستنيان (معناه العادل!) الروماني بإغلاق مدارس أثينا ومصادرة أوقافها التي أسسها ماركو أوريليوس وبذلك قطع هذا الحاكم الروماني الغشوم لسان الفلسفة وأخفت صوتها وقد ذكرنا اسمه هنا لنستنزل عليه لعنة كل ذي عقل لأنه من الأفراد الذين حاولوا خنق الفكر الإنساني والتضيق عليه باسم الدين تارة وباسم السياسة طوراً ولكن الفكر الإنساني كالنور الأزلي الأبدي ويأبي الفكر أن يطفأ نوره!

خاتمة وخلاصة ما تقدم

يتلخص الفصل الذي عقدناه لتاريخ الفلسفة اليونانية ليكون مقدمة لمائدة أفلاطون وليكون حلقة اتصال بين القارئ الخالي الذهن وبين الكتاب الجليل الجميل في أن الإغريق أخذوا عن اليونان مبادئ الفلسفة والعلوم الرياضية وعلم الفلك وسواها من العلوم وأنهم توسعوا فيها وزادوا عليها واشتهروا بها واستنار العالم بهديهم وبنراس حكمتهم إلى وقتنا هذا.

وأنهم بدؤوا بالاشتغال بالحكمة والعلوم في القرن السابع قبل المسيح أي منذ ٢٦٠٠ سنة تقريباً ويلاحظ أن مصر التي ترجع أثار مدنيتها إلى خمسة آلاف سنة (تاريخ نحت تمثال أبي الهول) كانت علومها زاهرة وحكمتها ظاهرة وأنظمتها سائدة وعظمتها ثابتة. موطدة قبل اشتغال اليونان بالفلسفة بثلاثين قرنا.

وأول من اشتغل بالفلسفة ثاليس وجاء في الأخبار الصادقة أنه قصد مصر وساح فيها مدة لأنها كانت مصدر العرفان الوحيد في العالم وكسب منها فوائد جمة ثم عاد إلى وطنه لينشر العلم بين أبنائه فأسس مدرسة وكان له الفضل في نقل علم الهيأة عن المصريين وتوسيع دائرته فقسم السنة إلى فصول وهو أول من نزع من أفكار أهل وطنه خرافات كثيرة كانت سائدة عليها كاعتقادهم أن الكواكب آلهة فاثبت لهم بالبرهان أنها أجرام كأرضنا لا حياة لها. وقال إن للعالم مبدعا لا تدرك صفتة العقول من جهة جوهريته وإنما يدرك من جهة آثاره (الملل والنحل للشهرستاني طبع لندن صحيفة ٢٥٥)

وجاء في القفطي عن ثاليس صحيفة ٧٥ أن ثاليس دي ميليت أو الملطي قال إن الوجود لا موجد له (تعالى الله العظيم "القفطى") واعتذر له أصحابه أن الذي حمله على ذلك ما شاهده في هذا العالم من الاختلاف فتحقق أن الموصوف بالصفات الحسنى لا تصدر عنه هذه الأمور المختلفة فقال بذلك.

ونقل عنه أن المبدع الأول هو الماء لأنه قابل لكل صورة ومنه أبدع الجواهر كلها

وهو علة كل مبدع وأنه من جمود الماء تكونت الأرض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوة الماء تكونت الذار (الذرات أو "اتوم") ومن الدخان والأبخرة تكونت السماء ومن الاشتعال الحاصل من الأثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل فيها إليه. وميز بين الجسم والجرم فقال الجسم ما كان لطيفاً ظاهراً والجرم ما كان كثيفاً دائراً وكان يقول إن فوق السماء عوالم مبدعة لا يقدر المنطق أن يصف تلك الأنوار ولا يقدر العقل على إدراك ذلك الحسن والبهاء. وقال الشهرستانى عن تفسير الماء الذي قال تاليس عنه إنه المبدع الأول "وفي التورية في السفر الأول مبدأ الخلق هو جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الأرض ثم أرساها بالجبال". وأظن أن مؤلف الملل يقصد بقوله السفر الأول سفر التكوين في التوراة المقدسة فقد جاء في الإصحاح الأول "وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه القمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه" (آية٢)

وجاء بعد ذلك "وقال الله ليكن جلد في وسط المياه. وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد (٦ و٧) وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء (٩) ومجتمع المياه دعاه بحاراً (١٠)" أظن هذه الآيات المقدسة هي التي حللها الشهرستانى وأوجزها ثم أنه استمر في استنتاجه فقال (ص ٢٥٦ من الطبعة السابقة الذكر) "والماء على القول الثاني شديد الشبه بالماء الذي عليه العرش وكان عرشه على الماء" وجعلنا من الماء كل شيء حي. ولا نعلم قصد الشهرستانى في قوله إن تاليس الملطي إنما تلقى مذهبه من المشكوة النبوية وإن الذي أثبته من العنصر الأول الذي هو منبع الصور شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور في الكتب الإلهية ويدهشنا هذا القول من الشهرستانى لأن تاليس من أهل القرن السابع قبل المسيح.

وجاء بعد تاليس انكسمندر وسار على درب تاليس في الأبحاث الفلكية فاخترع الساعة الشمسية وقسم النهار إلى ساعات وهو أول من بين سبب تزايد القمر من هلال إلى بدر ونقصانه من بدر حتى يصير كالعرجون القديم وله الفضل في التعليل العلمي على كل من عداه.

وجاء بعده انكسمين ويسميه العرب انكسيمانس وقال في أصل العالم قولا

مثل سلفه ثاليس إن أول الأوائل ليس الماء كما قال ثاليس وإنما هو الهواء ومنه يكون جميع ما في العالم من الأجرام العلوية والسفلية وقال إن ما كون من صفو الهواء المحض لطيف روحاني لا يدثر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل الدنس والخبث وما كون من كدر الهواء كثيف جسماني يدثر ويدخله الفساد ويقبل الدنس والخبث. ولعله جعل الهواء أول الأوائل لموجودات العالم الجسماني كما جعل العنصر أول الأوائل لموجودات العالم الروحاني وقلنا أن انكسمين يرجح أن يكون تلميذ انكسمندر.

ثم ظهر فيثاغورس دي ساموس في أواخر القرن السادس قبل المسيح وقيل عنه انه قصد مصر واستقى العلوم من منابعها العذبة بفضل الكهنة في المعابد وقد اشتغل بالرياضيات والفلك وكان للأعداد في نظره أعظم شأن حتى إنه بنى فلسفته عليها ولأرسطو كلام طويل في تفنيد نظرية الأعداد ولكن يلوح لأهل الفكر أن أرسطو لم يدرك تماماً نظرية الأعداد أو تظاهر بذلك ليسهل عليه نقدها. أما فيثاغورس فقد قال بدوران الأرض حول الشمس واظهر في علم طبقات الأرض حقائق ثابتة لم تنقض إلى هذا الوقت كقوله إن البحر كان يابسة وإن اليابسة كانت ماء وإن الوديان تكونت بفعل الأنهار وعلل وجود الآثار البحرية كالمحار والأصداف وغيرها في أعالي الجبال وهذا مفتاح طبقات الأرض (كما أثبت شارل ليل الإنجليزي في القرن التاسع عشر) وهو أول من عرف الفلسفة وأطلق عليها اسمها وأول من سمي فيلسوفا وكان بفضل علم الأعداد وعلم الفلك أول من شد أوتاراً بحسب السلم الطبيعي في الموسيقى وقد أسس مدرسة وفلسفة باسمه وكان فيثاغورس يعتقد بالبعث والخلود ويقول بان فوق عالم الطبيعة عالماً روحانياً نورانياً لا يدرك العقل حسنه وبهاءه وإن الأنفس الزكية تشتاق إليه وإن كل إنسان أحسن تقويم نفسه يصير أهلا لهذا العالم الروحاني النوراني. وكان يعلم تقديس الحواس ومذهبه أن يعلم الرجل الرجال وأن تعلم النساء النساء وكان معتدل المزاج ولا يفرح بإفراط ولا يحزن بإفراط ولا يسمن ولا يهزل ولم يره أحد باكياً ولا ضاحكاً وكان يعالج الأمراض بأنغام الموسيقى (وهذه طريقة أحياها بعض المحدثين في أوربا لمعالجة الأمراض العصبية والعقلية) وكان فيثاغورس تلميذ انكسمندرا الذي سبق ذكره وتعلم عليه الفلك والرياضة ولما زار مصر تعلم الهيروغليفية على أساليبها الثلاثة وبعد أن عاد إلى وطنه واقام به وبغيره سنين طويلة حن إلى مصر وعلومها فوردها وقصد كهنة

عين شمس (مدرسة كانت بمصر الجديدة المعروفة لعهدنا هذا بهليو بوليس وبها نكتب هذا الكتاب)

فامتحنه كهنتها ثم بعثوا به إلى منف ثم إلى ديوسبولس ليمعن الكهنة في امتحانه وأكرمه الملك اماسيس إلى أن عاد إلى وطنه وكانت زوجته تعلم سائر النساء وابنته البتول تعلم سائر العذارى واضطهده أهل وطنه وطاردوه وقتلوا بعض تلاميذه واضطروا للفرار وتبعه الاضطهاد حيثما حل إلى أن لجأ إلى هيكل الموسن فتحصن فيه أربعين يوماً فضربوا الهيكل بالنار فلما أحس أصحابه بذلك عمدوا إليه فجعلوه في وسطهم وأحدقوا به ليقوه النار بأجسامهم فلما امتدت في الهيكل واشتد لهيبها غشى على الحكيم من ألم حرارتها ومن الجوع لأنه قضى معظم أيام الحصار جائعاً فسقط ميتاً ثم احترق جميع أنصاره (راجع ص ٣٧ وما بعدها من ابن ابي اصيبعة وراجع كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم لمحمود الدولة أبي الوفاء المبشر بن فاتك)

ونسبوا إليه ثمانين كتاباً وقالوا مائتين وثمانين كتابا (هذ احصاء كتاب العرب) ولا نخفي على القارئ أن معظم ما رواه العرب عن فيثاغورس هو من قبيل الأساطير الموضوعة كما إنهم لم يدركوا أو لم يشاؤوا ذكر الحقيقة فالثابت في التاريخ الصحيح أن فيثاغورس ألف حزباً علمياً واشتغل بالسياسة وكان أتباعه من الخواص أو الارستقراطية وأنهم لم يأنفوا من هضم حقوق الشعب فتعقبتهم العامة واضطهدتهم إلى أن أحرقتهم بوصف كونهم أعداء الشعب لا بصفة كونهم فلاسفة ولم يدرك العرب حقيقة فيثاغورس ونسبوا إليه علوم الدنيا والآخرة مع إنه كان رياضياً لا زيادة وفضله راجع إلى مزجه الحساب بالهندسة كما فعل ديكارت بمزج الجبر بالحساب. وتفوق فيثاغورس في الرياضيات هو الذي جعله يعلق شأناً كبيراً على الأعداد وأسحارها. أما فلسفة فيثاغورس التي كانت دعامتها البعث وتقمص الأرواح وحلولها في أجسام غير أجسامها الأولى فقد محيت من عالم الفكر الإنساني في القرن الرابع وذهبت تقريباً ذهاب القائل بها إلا من أعمال المشعوذين من العرب الذين تمسكوا بأسرار الأعداد وسحرها إلى وقتنا هذا ومن العجيب أن العرب ذكروا بالتفصيل مأكل فيثاغورس ومشربه ولم يذكروا تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته. وقد ذكرناه معتمدين على مؤلفي الإفرنج وفي هذا كفاية ولولا ما كتبه أرسطو عن فيثاغورس في عرض نقده آراءه الفلسفية أو فلسفة الأعداد ما اهتدينا إلى شيء حقيقي عن حياة هذا الحكيم. ولا عبرة بما عدده العرب من كتبه فقد نسبوا

إليـه ٢٨٠ كـتـاباً ورووا عنه ألف مـثل وحكمـة مع أننا لم يقع لنا سطر واحد من مؤلفات فيثاغورس واتباعه ويمكننا تعليل ذلك بأن معظم أبحاثهم كانت رياضية وكفي أنه وضع كلمة ماطيماطيقي (رياضيات) وآثار الرياضي في الأرقام والأشكال والمعادلات وهي آثار زائلة. وسيأتي الكلام على الرد على نظريته في الأعداد في عرض الكلام على أرسطو وهو أول من اهتم بها ونقدها.

وكنا نود أن نأتي على نظرية فيثاغورس في الأعداد بشيء من الإسهاب ولكن ذلك يصعب لأننا نكتب وجيزاً لا مطولاً. على أن تلك النظرية مهمة جداً لأن لمذهب صاحبها شأناً كبيراً فهو أول من فرق بين إدراك الإنسان والحيوان بعبارة وجيزة إذ قال أن هداية الحيوان مقدرة على الآثار التي جبل الحيوان عليها وهداية الإنسان مقدرة على الآثار التي فطر الإنسان عليها. فكأنه يقول أن الحيوان يعيش بالغريزة والإنسان يعيش بالعقل لأن الفطرة هي الحالة الفكرية التي تحصل للإنسان من التأمل والتعليل ثم يتوارثها الأبناء عن الآباء ولا يوجد فرق عظيم بين هذا الرأي وبين العلم الحديث. ولكن نظرية فيثاغورس في الأعداد هي التي جعلت له شأنه العلمي الحقيقي وأهم ما فيها أنه جرد العدد عن المعدود تجريد الصورة عن المادة وقال مبدأ الموجودات هو العدد وهو أول مبدع. وقسم العدد إلى زوج وفرد ثم قال إن المتحركات السماوية ذات حركات متناسبة لحنية هي اشرف الحركات وألطف التأليفات. ويدعي فيثاغورس أنه سمع حفيف الفلك ووصل إلى مقام الملك وقال ما سمعت شيئاً ألذ قط من حركاتها ولا رأيت شيئاً أبهى من صورها وهيأتها. وعندي أن هذا التخيل البعيد المدى الذي جعله يشهد العالم بحسه وحدسه ويسمع حفيف الكواكب إنما نوع من الانجذاب اللطيف الذي يعلله العلم الحديث بأنه غيبوبة مغنطيسية فيخيل إليه أثناءه أنه صعد إلى السماء وحادث الملائكة إلى آخر ما روى عن فيثاغورس وأمثاله. وهذه "الحال الانجذابية" هي التي تجعل لذويها أتباعاً وأنصاراً يفدونهم بحياتهم ونحن لا نريد تكذيبها أو دحضها إنما نحاول تعليلها تعليلاً علمياً لتفسيرها وإدراك حقيقتها. فقد حدث مثلها في عهدنا هذا لسويدنبورج الذي قال إنه رأى شبحاً قال له "أنا الله _الخالق _مخلص العالم _ اخترتك لتنشر للناس معنى الكتب المقدسة _سأملي عليك بنفسي كل الذي تكتبه" (ص. ٢١٩ كتاب اعتلال العبقرية تأليف نيسبت طبع لندن) وقد صار سويدنبورج بعد ذلك مصلحاً دينياً عظيماً وكان يقول عن نفسه ويقول عنه أتباعه أنه نبي.

نعود إلى فيثاغورس فنقول إن أتباعه تغالوا في أهمية العدد فأوقعوا الألف في مقابلة الواحد والباء في مقابلة الاثنين إلى غير ذلك. وقالوا إن مبدأ الجسم هو الابعاد الثلاثة. ومن أحكم أقوال فيثاغورس إن الإنسان بحكم الفطرة واقع في مقابلة العالم كله وهو عالم صغير والعالم إنسان كبير (أنظر بعد ذلك فلسفة سبنسر الاجتماعية (سوسيولوجيا) فإنه أخذ فيها في شرح هذه النظرية وتطبيق أحوال الكائن الحي على المجتمع) ولذلك صار حظ الإنسان من النفس والعقل أوفر فمن أحسن تقويم نفسه وتهذيب أخلاقه وتزكيه أحواله أمكنه أن يصل إلى معرفة العالم وكيفية تأليفه ومن ضيع نفسه ولم يقم بمصالحها من التهذيب والتقويم خرج من عداد العدد والمعدود وانحل عن رباط القدر والمقدور وصار ضياعاً هملا. وقال فيثاغورس في سياق نظرية الأعداد النفس الإنسانية تأليفات عددية أو لحنية ولهذا ناسبت النفس مناسبات الألحان والتذت بسماعها.

وجاء بعد فيثاغورس فلاسفة مدرسة إيليه وهم بارمنيد وزينون دى كولفون وتلاهم الفلاسفة الطبيعيون المحدثون وأولهم هيراقليط وهو في طليعة الحركة الفلسفية التي اهتمت بتحول الأشياء وتغيرها أكثر من اهتمامها بمادتها.

واشتغل بالسياسة وحرب الديموقراطية وكان يقول بوجود الانسجام في وسط الفوضى. وكان هيراقليط يخالف بارمنيد

ثم تلاهما أناكساجور وهو من نوابغ القرن الخامس قبل المسيح واشتغل بالفلك ورصد الكواكب وهو أول من علل الخسوف وفضله على فيثاغورس ظاهر فقد تنبأ هذا الأخير بكسوف حصل في عهده ولكنه لم يستطع تفسيره ولكن أناكساجور علل الخسوف والكسوف معاً وأنكر إلوهية الشمس واضطهده أهل عصره لأجل هذا وقد سمي أناكساجور حكيم الذرات (الذار) لأنه قال بان المادة وجدت منذ الأزل على صورة ذرات غير مرتبطة ثم تناولها العقل الأزلي فنظمها ورتبها حتى أخذت أشكالها المرئية. وأشرنا إلى أن أراء أناكساجور بقيت صادقة إلى أن قال بها باسكال ولبينتز ونقول انه من عهدهما إلى الآن لم ينقض رأي أناكساجور فقد ثبت للعالم الحديث أن المادة مكونة من ذرات وان جزئيات المادة لا تدركها العين المجردة لشدة صغرها وأنها من نوع واحد لا فرق بينهما وقال علماء هذا العصر بنظرية الالكترونات وهي قريبة جداً من نظرية أناكساجور ففضل أناكساجور على العلم عظيم وكلامه في أصل الوجود ينطبق على العلم الحديث وهو راجع إلى رغبته في

تعليل مبدأ الموجودات فقال ان مبدأها متشابه الأجزاء وهي أجزاء لطيفة لا يدركها الحس ولا ينالها العقل منها كون الكون كله العلوي منه والسفلي لأن المركبات مسبوقة بالبسائط والمختلفات أيضاً مسبوقة بالمتشابهات. هذه النظرية التي انتحلها دروين وأطلق عليها اسم "Differenciation"

وهو أول من قال بالكمون والظهور حيث قدر الأشياء كلها كامنة في الجسم الأول وإنما الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعاً وصنفاً ومقداراً وشكلاً وتكاثفاً وتخخلا كما تظهر السنبلة من الحبة الواحدة والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة والإنسان الكامل الصورة من النطفة والطير من البيض وكل ذلك ظهور من كمون وفعل عن قوة وصورة عن استعداد مادة وإنما الابداع واحد ولم يكن لشيء آخر سوى ذلك الجسم الأول. ولأهمية هذه النظرية القديمة ألفت نظر القارئ إلى كيفية تجديدها ونشرها كأنها مستحدثة في الفصول الخمسة الأول من كتاب "لغز الكون" تأليف أرنست هيكل.

وقال انكساغور إن الأشياء كانت ساكنة ثم إن العقل رتبها وقال إن المرتب هو الطبيعة وظهر بعد انكساجور الفلاسفة السفسطائيون (المغالطون) وأشهرهم بروتاجوراس وجورجياس ولهم آثار عظيمة في تكوين الفلسفة وهم أول من قال بوجوب الشك وعدم إمكان وصول الإنسان إلى معرفة الحقيقة وقالوا بنسبية الأشياء وعدم وجود المطلق في الحق والجمال والعدل وغيرها وفضل هؤلاء الفلاسفة كائن في أن فلسفتهم كانت حداً فاصلاً بين الفلسفة القديمة والحديثة ولولاهم ما تمكن سقراط وأفلاطون وأرسطو من الظهور لأن هؤلاء الثلاثة لم يقوموا إلا على أنقاض الفلاسفة المغالطين.

ثم ظهر سقراط وهو والد الفلسفة الحديثة اليونانية.

وكان عظيماً بأخلاقه كما كان عظيماً بفلسفته وكان عظيماً في موته كما كان عظيماً في حياته وقد أتينا على ملخص آرائه نقلاً عن أعظم مؤلفي الإفرنج أمثال زيلر مؤلف كتاب "تاريخ أقطاب الفكر في بلاد اليونان" واعتمدنا على ما تلقيناه عن أستاذنا جوبلو أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية في كلية الآداب بجامعة ليون (١٩٠٩) ولا ريب في أن اسم سقراط أعظم أسماء الفلاسفة السابقين لأرسطو. وهو أستاذ أساتذة هذا الأخير ويوجد شبه بين سقراط وبين إبراهيم الخليل فقد كان والد

---

١ مبدأ لا يعترف أصحابه بالوجود الا للمادة والكون وينكرون ما عدا ذلك .

كل منهما صانعاً للتماثيل وقد ترك كل منهما عبادة الأصنام وتعلق بأهداب الحكمة وتوصل بها إلى الإيمان وربما كانت قصة الخليل مأخوذة عن تاريخ سقراط. وكان سقراط يعتقد أنه تسلم رسالته من الأرباب وكانت صفاته صفات المصلحين الثوريين فقد عاش في حياته عيشة نقية ولم يتردد في مخاصمة جميع الأحزاب والفرق في سبيل الحق ونشر مذهبه.

والفرق بينه وبين إبراهيم الخليل أن سقراط لم يقتن ثروة ولم يقدم زوجته مراراً بصفة كونها أخته للملوك ليحصل على قطعان الغنم والإبل.

ولقد لخصنا مذهبه الفلسفي تلخيصاً وجيزاً ونقول إن سقراط لم يؤثر في الناس بفلسفته ليس إلا بل أثر فيهم بشخصيته ومن العجيب انه لم يؤلف كتاباً ولم يدون سطراً ولكنه خلق رجالاً ألفوا آلاف الكتب كتب لندسي (ص٩ ترجمة مؤلفات زينفون) "أن سقراط لم يترك أثراً مدوناً ولكن زينفون وأفلاطن خلداه بما كتباه عن حياته ومذهبه كما إن اريستوفان المؤلف الهزلي الذي هزأه في رواية "الغيام" لم ينكر أنه أعظم رجل في أثينا وناهيك ببطل إحدى روايات ارستوفان المر "القلم واللسان". وبالرغم من أن سقراط لم يكتب فإنه أوجد أربعة مذاهب فلسفية كان لها أعظم شأن في العالم أولها مذهب الميجار (ميغارة) ومذهب سيرانيك (القوريني) ومذهب سنيك (الكلابية) وإذا نظرنا إلى كل مذهب من تلك المذاهب الثلاثة نرى أثراً جلياً من شخصية سقراط وفلسفته وأهم منها رابعها وهو مذهب أفلاطن وما تشعب عنه حتى فلسفة أرسطو نفسه فإنها لم تكن إلا نقداً للمذاهب المذكورة وشرحاً لها وتنقيحاً لما جاء فيها وتطبيقاً لمبادئ العلم الصحيح على ما أنتجته قريحة سقراط وتلاميذه الذين هم أساتذة أرسطو.

ثم نقلنا ملخص ما كتبه مؤرخو العرب عن سقراط وهم ابن ابي أصيبعة والقفطي والقاضي صاعد وغيرهم وقد نقلنا هذا الملخص ونسقناه على طريقة حديثة ليكون لذيذاً في مطالعته ولكن الناظر إليه يدرك الفرق بين طريقة العرب وطريقة الإفرنج. ونحن لا ننتقص هؤلاء فهم أجدادنا وأساتذتنا وبلغتهم نكتب ومن فضلهم نغذي عقولنا وقد غذوا أوربا ذاتها بلبان العلم والحكمة منذ ألاف السنين. ولكن انظر ماذا جاء في كلامهم عن سقراط: مجموعة حكم وأمثال وقد بالغ ابن ابي أصيبعة في التقصي فنسب إلى سقراط شعراً عربياً!! وكل ما كتب عنه رواية عن حبسه وموته. وهو مشوه مختلط. ولم يفقه العرب معني تهمة الثورة التي نسبت إلى

سقراط ولا طريقة المحاكمة ولا تنفيذ الحكم ولا دفاع سقراط مع أنهم بدون شك وقفوا على كتاب احتجاج سقراط على أهل أثينا تأليف زينوفونMemorabilia وفي آخره دفاع سقراط وهو من أبلغ ما نطق به لسان وفيه أن ملتيوس وانيتوس وجها إلى سقراط تهمتين الأولى "عدم الاعتقاد بآلهة المدينة ومحاولته تقديس سواها وترويج عبادتها والتهمة الثانية إفساد أخلاق الشبيبة". وكان سقراط لا يريد الدفاع عن نفسه ولكن هيرموجونيس صديقه الحميم توسل إليه أن يدافع فدافع بعد أن سمعت شهادة الشهود عليه وكلهم شهدوا زوراً بإيعاز من المدعي العام انيتوس وقد دحض سقراط التهمتين بطريقته القياسية البديعة وكان في كل جملة يرغم انيتوس على التسليم بصحة قوله ولكن الحكم كان مدوناً قبل سماع الدفاع والنية كانت معقودة على إعدام هذا الحكيم قبل الجلوس على منصة الأحكام فلم تفده حكمته وبلاغته ولكن مؤرخي العرب ذكروا أنه كان لليونان ملك وأن هذا الملك تآمر مع القضاة الأحدث عشر على قتل سقراط خفية وأنهم سجنوه لهذه الغاية وأنهم اتفقوا على تقديم السم إليه ليتقوا قتله علانية إلى آخر ما جاء في كتبهم من تغيير الحقيقة لعدم إدراك الناظمة الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في اليونان ومن اهتمامهم بالقصص والأحاديث الطلية وانصرافهم عن خلاصة الفكر الحقيقي وعلى الخصوص لاكتفائهم بالرواية عن بعضهم فان ما نجده في كتاب تجده في عشرة غيره مع تحريف بسيط بحيث لا يدري الإنسان أي المؤلفين نقل عن غيره لأنهم سامحهم الله يأنفون ذكر المصادر وهم هم الذين وضعوا علم مصطلح الحديث والغوا في صحة الإسناد وأسسوا كتبهم على صدق الرواية وملؤوا كتبهم بأسماء الرواة مثل كتاب الأغاني وكتاب العقد الفريد وغيرهما. والذي يدهش في بعض كتبهم عدم التحري فإننا نقلنا عنهم أن سقراط مات بعد المئة مع أن الثابت عن زينفون أنه مات حوالي السبعين من عمره

هذا ما أردنا إيراده موجزاً عن سقراط وسنفيه حقه من التاريخ والتمجيد عند نشر "جمهورية أفلاطن" التي أخذنا في نقلها إلى العربية من مدة طويلة وكلها على لسان سقراط فسنفرد له فصلاً قائماً بذاته نذكر به ما تشتاق إليه النفوس من تاريخ أحكم الحكماء وأعظم الرجال وأسعدهم حظاً.

على أننا لا نريد الانتقاص من قدر كتاب العرب فإننا نجلهم ونمجد ذكرهم لأن لهم علينا وعلى الإنسانية فضلاً لا يقدر. وكفانا اعترافاً بذلك أن كاتب هذه الأسطر قضى أكثر من عشر سنين في درس تاريخ الفلسفة العربية وتدوين تراجم حكماء

العرب وتفصيل مبادئهم وقد نشر من ذلك الكتاب تاريخ الكندي والفارابي وفلسفتهما (راجع مقتطف يوليو ١٩٢٠) ولكن الذي يغيظ المنقطع للدرس ما يلحقه من خيبة الأمل بعد طول العناء فها نحن نقرأ كتاب عيون الأنباء ونبحث ساعتين أو ثلاثاً فنجد شعراً جميلاً ونثراً بليغاً وسجعاً مرصعاً ولا نجد تاريخاً ولا واقعة معينة ولا اسماً علماً يركن إليه. ونعثر بنبذ طويلة منقولة بحذافيرها من كتب أخرى بغير إشارة إلى مصدرها. فإذا انتقلنا إلى غيره وجدنا مثل ذلك هذا الذي يحرج الصدر ويهيج السخط وقد ذكر لنا الأستاذ سانتيلانا أستاذ تاريخ المذاهب الفلسفية في الجامعة المصرية في ١٩١٣ إنه يقلب عشرين كتاباً ويقرأ مئة صفحة ولا يدون إلا سطراً أو سطرين. على أن هذا لا يمنع الاعتراف بفضل كاتب جليل قنع بذكر المبادئ الفلسفية وترك تفصيل التراجم لغيره وهو الخالد الذكر أبو الفتح محمد الشهرستانى (نقول وإن أتقن النسخ التي بين يدينا هي المطبوعة في لندن ١٨٤٢) فياحبذا!

لقد جئنا عن سقراط وفلسفته بالقدر الكافي ولخصنا مبادئه التي كان يقولها ويلقنها لأنه كان يأنف الكتابة والتدوين وقلنا انه كان يعتقد بوجود الله ويقول عنه "إذا رجعنا إلى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا النطق والعقل قاصرين عن اكتناه وصفه وتحققه وتسميته وإدراكه لأن الحقائق كلها من تلقاء جوهره" ويقول عن علم الله وقدرته وجوده وحكمته إنها بلا نهاية ولا يبلغ العقل أن يصفها ولو وصفها لكانت متناهية ويقول إنه حي وناطق من جوهره أي من ذاته وحياتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد ولا يتطرق ذلك إلى حياته ونطقه.

ومذهبه في أصول الأشياء ثلاثة العلة الفاعلة والعنصر والصورة. وعن النفس الإنسانية يقول سقراط كما أسلفنا إن النفوس كانت موجودة قبل وجود الأبدان إما متصلة بكلها أو متمايزة بذواتها وخواصها فاتصلت بالأبدان استكمالاً واستدامة والأبدان قوالبها وآلاتها فتبطل الأبدان وترجع النفوس إلى كليتها. أما النفس الناطقة فجوهر بسيط ذو سبع قوى يتحرك بها حركة مفردة وحركات مختلفة فحركتها المفردة نحو ذاتها ونحو العقل وحركتها المختلفة نحو الحواس الخمس.

وكانت له أقوال كثيرة في الحكمة بعضها ظاهر مفسر بلفظه كقوله الذي ينسب إلى الإمام علي "لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم" (الملل والنحل ص٢٨٢) ولا ندري لماذا تلقينا هذه الحكمة في المدارس منسوبة إلى الإمام علي بتحريف بسيط فهل قالها الإمام علي وانتحلها لنفسه أم رواها عنه

معجب حسن النية ولم ينسبها إلى مصدرها؟ أم هي كلمة من الحكم التي ينسبها كتاب العرب إلى سقراط ولقمان وأرسطو وإدريس والإمام علي؟؟... وكان لسقراط أقوال كثيرة من قبيل الألغاز كان يستتر وراءها أغراضه وقد روى منها ابن أبي أصيبعة والقفطي والشهرستاني وصاعد مقادير كثيرة فليرجع إليها من يشاء. وقال عنها الشهرستاني إن سقراط ألقاها إلى تلميذه ازخانس (يقصد زينفون) وإن زينفون أو ازخانس حلها في كتاب فإذن (يقصد فيدون) فنقول إن الذي بلغ إليه علمنا القاصر هو أن ازخانس أو زينوفون لم يدون كتابا باسم فإذن وإن الذي كتبه أفلاطون وهو إحدى المحاورات الخمس وثلاثين التي ذكرناها لدى الكلام على أفلاطون وأشخاصها ايشكراط وفيدون ثم سقراط و ابولودوروس وسيبس وسيمياس وكريتون وهي محاورة محكمة أما العبارات التي يرويها الشهرستاني فهي نبذ مفككة كقوله "اسكت عن الضوضاء الذي في الهواء وتكلم بالليالي حيث لا يكون أعشاش الخفافيش".

نقول وبعد أن فرغنا من سقراط العظيم انتقلنا للكلام على المذاهب الفلسفية التي تشعبت عن تعليمه وذكرنا أهل مغارة نسبة إلى بلدهم وأولهم اريستيب أو أرسطيفن المنسوب إلى برقة وهي إحدى المستعمرات الأفريقية في أفريقيا وذكر اسم بلدة قورينا معربا مباشرة من الاسم اليوناني سيرانيك وقيل إن قورينا في القديم هي رفنية بالشام عند حمص ولذلك يسمونه أرسطيفن الرفني. وكان أتباعه يعرفون بالقورينائيين نسبة إلى البلد ويعرف له العرب كتباً رياضية غير المبادئ التي ذكرناها وفرقة اريستيب قد سميت من اسم البلد الذي كان فيه الفيلسوف الذي يكتب اسمه اريستيب وأرسطيفن وارسطبس.

ومن أتباع سقراط أيضاً فرقة ديوجين وتعرف بالكلبية أو الكلابية وسبب تسميتهم بالحقيقة نسبة إلى المكان الذي كانوا يجتمعون فيه ولكن العرب قد شرحوا ذلك بأنهم كانوا يرون اطراح الفرائض المفترضة في المدن على الناس ومحبة أقاربهم وبغض غيرهم من سائر الناس وقال القفطي بغير حياء ولا حرمة للحكمة "وإنما يوجد هذا الخلق في الكلاب" وكل هذا الخلط جاء من التسمية ومن جهله باللغة اليونانية فإن مكان الاجتماع اسمه سينوسارج وكلمة سينو باليونانية معناها كلب فصارت نسبة إلى كلمة سينو فسمو "سينيك" لا لأن أخلاقهم تشبه أخلاق الكلاب فتأمل جهل القفطي وسوء الاستدلال وغرابة التعليل. ولما شمر القفطي عن ساعديه ليدون

فلسفة ديوجين وأتباعه وزعيمهم انتستين وكلهم تلاميذ سقراط قال "كان أحدهم يتغوط غير مستتر عن الناس وينكح في الطريق ويقبل الحسناء من النساء قدام الجمع". فأين هذه السخائم والسخافات التي اخترعها الذهن المريض لمناسبة تسمية أدى إليها الجهل من الحكمة العالية والتواضع المعروف والقناعة النادرة التي بثها ديوجين وانتستين. أيقال هذا عن دوجين وقد كان حكيماً فاضلاً متقشفاً لا يقتني شيئاً وهو الذي استدعاه الملك الإسكندر إلى مجلسه يوماً فقال للرسول قل له إن الذي منعك من المصير إلينا منعنا من المصير إليك منعك عني استغناؤك بسلطانك ومنعني عنك استغنائي بقناعتي. أيقال هذا أيها القفطي عن ديوجين وهو الذي سئل عن العشق فقال سوء اختيار صادف نفساً فارغة (٣٣٣ شهرستاني)

ثم انتقلنا إلى اقليدس المغارى نسبة إلى بلده مغارة أو مجيار وقلنا إنّ أفلاطون فند آراءه في "محاورة المغالط".

ثم تكلمنا على حياة أفلاطون بما ليس وراءه غاية على قدر ما يطيقه مقتضى الحال. وهو أفلاطن الإلهي وآخر المتقدمين الأوائل الأساطين وكان تلميذ سقراط ورأيه القول بوجود محدث مبدع للعالم واجب بذاته عالم بجميع معلوماته.

وتكلمنا عن رأيه في العقليات والمعاني والصور ولمحنا إلى نظريته في المثل فقد اثبت لكل موجود مشخص في العالم الحسي مثلاً موجوداً غير مشخص في العالم العقلي ويسمي ذلك المثل الأفلاطونية وهي ترجمة لكلمة Prototypes الإفرنجية فالمبادئ الأول بسائط والمثل مبسوطات والأشخاص مركبات فالإنسان المركب المحسوس جزء ذلك الإنسان المبسوط المعقول وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن والموجودات في هذا العالم أثار الموجودات في ذلك العالم. وقال إن العالم عالمان عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية وعالم الحس وفيه الأشخاص الحسية والصور الجسمانية كالمرآة المجلوة التي تنطبع فيها صور المحسوسات فإن الصور فيها مثل الأشخاص كذلك العنصر في ذلك العالم مرآة لجميع صور هذا العالم يتمثل فيه جميع الصور.

ويتفرع عن نظرية المثل الأفلاطونية أن النفوس الإنسانية متصلة بالأبدان اتصال تدبير وتصرف وكانت موجودة قبل الأبدان ومن أقواله المأثورة "إن النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها وما فيه من الروح والبهجة والسرور فأهبطت إلى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات وتستفيد ما ليس بذاتها بواسطة القوى

الحسية فسقطت رياشها قبل الهبوط وأهبطت حتى يستوي ريشها وتطير إلى عالمها بأجنحة مستفادة من هذا العالم"[1] ومما هو جدير بالذكر أن أفلاطن يقول بالبعث والنشور والخلود والثواب والعقاب ويلحق هذا كله بأفكار شعرية جميلة بعيدة المدى ولكنها غير منطبقة على المنطق ولأجل هذا ضرب تلميذه أرسطو عرض الحائط بمعظم آرائه في المعنى والصور والمثل والبعث والنفس ولكن فضل أفلاطون على الحكمة لا ينكر ومن الغريب حرية فكره وتعصبه فقد كان في جمهوريته يبيح أن يكون الملك والنساء شائعة ولكنه يعاقب على الإلحاد بالسجن لمدة غير معينة وقد نظم لمحاكمة الملحدين محكمة أفظع من محاكم التفتيش ولكن (الله) سلم.

ثم انتقلنا إلى الكلام على أرسطو وهو أكبر عقل رآه العالم في الأزمنة القديمة والحديثة بلا ريب وبه ابتدأت الفلسفة العلمية وإليه انتهت ومن كانوا قبله قد مهدوا له السبيل ومن جاؤوا بعده إنما كانوا يأكلون من فتات مائدته وقد سموه المعلم الأول لأنه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة إلى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق إلى المعاني التي في الذهن نسبة النحو إلى الكلام والعروض إلى الشعر والمنطق ميزان لأذهان المتعلمين يرجعون إليه عند اشتباه الصواب بالخطأ والحق بالباطل وقال عن النفس الإنسانية مخالفا أفلاطون إنها حدثت مع حدوث البدن لا قبله ولا بعده وإنها تهلك بهلاك البدن وانه ليس هناك ثواب ولا عقاب ولا بعث ولا خلود وهذه الأقوال هي التي أدت إلى تكفير من قال بها من فلاسفة العرب الذين نقلوا حكمته مثل ابن رشد ويمكن القول بحق إن باب الفلسفة الحقيقية قد أغلق بعد أرسطو لأنه قال كل ما يمكن أن يقوله إنسان.

وقد طبع الشيخ السيد علي الطوبجي كتاب السعادة في الأخلاق لابن مسكويه وفي آخره ملخص جليل لمؤلفات أرسطو آثرنا نقله برمته زيادة في النفع قال ابن مسكويه:

"إن الحكيم أرسطو هو الذي رتب الحكمة وصنفها وجعل لها نهجاً يسلك من مبدأ وإلى نهاية كما ذكره بولس فيما كتبه إلى انوشروان فإنه قال كانت الحكمة قبل هذا الحكيم متفرقة كتفرق سائر المنافع التي أبدعها الله تعالى وجعل الانتفاع بها

---

[1] هذا يذكرنا بقصيدة ابن سينا التي مطلعها

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

فليراجعها من يشاء .

موكولا الي جبلة الناس وما أعطاهم من القوة على ذلك مثل الأودية التي توجد متفرقة في البلاد والجبال فإذا جمعت والفت حصل منها دواء نافع وكذلك جمع أرسطو ما تفرق من الحكمة وألف كل شيء إلى شكله ووضعه موضعه حتى استخرج منه شفاء تاما يداوي النفوس من اسقام الجهالة وكان من ترتيبه ذلك أن نظر في جزئي الحكمة اعني النظري والعملي فوجد النظري فيها إما أن يكون في الأشياء التي في مواد وإما في الأشياء التي ليست في مواد وكل واحد من هذين القسمين ينقسم أيضاً قسمين لأن الأشياء التي في مواد منها ما هو تحت الكون والفساد ومنها ما ليس تحت الكون والفساد والأشياء التي ليست في مواد منها ما هو منتزع في المواد ووجوده في الوهم ولا وجود له من خارج ومنها ما ليس بمنتزع من المواد بل له وجود في ذاته خارجا عن الوهم فهذه الأربعة هي الأقسام الأول التي ينقسم إليها الجزء النظري ثم إن الأمور التي في المواد منها ما هو مشترك لها كلها ومنها ما هو خاص ببعضها منها ما يخص الأشياء السرمدية ومنها ما يخص الأشياء الكونية وما يخص الكونية منها ما هو مشترك لها كلها ومنها ما يخص بعضها وما يخص بعضها منها ما يخص الأشياء التي فوق الأرض ومنها ما يخص الأشياء التي في الأرض وما يخص التي في الأرض منها ما يخص الأشياء التي لا نفوس بها ومنها ما يخص الأشياء التي لها نفوس وما يخص الأشياء التي لها نفوس منها ما يخص ذوات الحس ومنها لا حس له[1] فصنف أرسطو في كل قسم من هذه الأقسام هذه الأشياء كتابا فاشتملت كتبه على جميع ما سطر فيه حساً عقلاً ولم يفته شيء ولما كانت عنايته مصروفة إلى تصحيح الإرادة في هذه الأمور كلها وإعطاء اليقين والإقناعات الكافية فيها وأن يسلم من الخطأ والغلط في المعقولات اضطر إلى أن يبحث عن مراتب الإقناعات وينظر في الأشياء التي لا يمكن أن يغلط فيها ولا يأمن أن يقع في باطل يظنه حقاً ويعتقد في حق أنه باطل ما هي مراتب هذه أيضاً وجعل لها صناعة وقوانين يوقف بها على مراتب هذه الأمور ومنازلها من اليقين وغيره ليسدد الإنسان طريق الصواب في كل مطلوب لئلا يجرى في الحكمة جرى أصحاب المذاهب في التخيل والأهواء فإن هؤلاء غلطوا وهم لا يشعرون وربما شعروا وانتقلوا عن رأي إلى رأي ولا يأمنون أن يسخ لهم في الرأي الثاني ما كان سخ في الأول

[1] راجع كتاب السعادة تاليف ابن مسكويه طبع سنة ١٩١٧ الذي ذكرناه في صحيفة ١٦٧ .

فهم أبداً أما على غلط وإما في شك وحيرة فإذا عرف الإنسان الأشياء التي من شأنها أن يغلط فيها تحرز منها وتيقن فيما انه قد صادف فيه الحق ولم يغلط فإن تخيل له في شيء انه يسهو فيه رجع إلى قوانين الصناعة فعلم للوقت بموضع غلط إن كان فتلافاه بسهولة ويمكنه مع ذلك أن يصحح ذلك الرأي لنفسه ولغيره فان بدله وتبينه له وهذه صناعة المنطق وأقرب مثال أجده لها في الصناعات العروض والنحو فان كل واحد منها يناسب المنطق بوجه وذلك أن هاهنا أوزان من الشعر صحيحة وربما غلط فيها ولم يكن صاحب صناعة فظنها مكسورة وربما ظن بالمكسور منها أنها صحيحة وإذا رجع إلى القانون الصناعي عرف موضع الشك وقدر على ما يجب وتيقن موضع الغلط إن كان وأصلح ما سها فيه ويناسبه أيضاً صناعة النحو بوجه آخر وذلك أن نسبة صناعة النحو إلى الألفاظ كنسبة صناعة المنطق إلى المعاني وكما أن النحو يسدد اللسان نحو صواب القول ويعطي القوانين التي يعرف بها الإعراب فكذلك المنطق يسدد الذهن نحو صواب المعاني ويعطي القوانين التي تعرف بها الحقائق وكما أن النحوي وان كان غرضه إصلاح الألفاظ فانه ينظر أيضاً في المعاني ليصحح بها المعاني والنحوي ينظر في الألفاظ بالذات وبالقصد الأول وينظر في المعاني بالعرض وبالقصد الثاني والمنطقي ينظر في المعاني بالذات وبالقصد الأول وينظر في الألفاظ بالعرض وبالقصد الثاني فقد تبين غرض الحكيم في صناعة المنطق وإن من جهل هذه الصناعة عرض له بالضرورة انه لا يقف على صواب من أصاب كيف أصاب ومن أي جهة أصاب ولا على سهو من سها أو غلط كيف وفي أين سها أو غلط وتحير في الآراء فمنها ما يصححه من غير ثقة ومنها ما يزيفه بغير بصيرة ومنها ما يتوقف فيه لا يدري بماذا يحكم له ثم لا يأمن فيما صححه اليوم أن يرد عليه في غد ما ينقضه عليه وتشكك فيه وفيما زيفه أن يصح عنده في وقت آخر فينظر فيما هو عنده صحيح أنه يجوز أن يفسد وفيما هو فاسد أنه يجوز أن يصح وعسى أن يرجع إلى ضد ما هو عليه في الأمرين جميعاً إما لخاطر يرد عليه من نفسه عن اعتقاده الأول وإما برأي غيره فإذا غرض من يدعي الكمال في العلم والثقافة بالجدل وبصيره ببراعته لم يكن عنده ما يمتحنه به وإما أن يحسن الظن به فيقبله وإما أن يتهمه فيرده وليس يخلو في حاليه من أشياء ترد على عقله فيوهمه في شيء انه حق وفي آخر أنه باطل والمنطق يدله على هذا الموضع ويصحح له الصحيح ويعلمه لم صار صحيحاً ويزيف الباطل ويريه له لم صار باطلاً فنحن

مضطرون إلى تصحيح المعاني في أنفسنا بقوانين صناعية تنفي بما يحوطنا من الغلط وإلى تصحيح الألفاظ التي تدل بالمواطأة على تلك المعاني لئلا يعترض لغيرنا ما يغلطه فيها فكلا هذين يسمى صناعة المنطق إلا أن أحدهما ينظر فيه بالذات والآخر بالعرض كما بينا ولما تأمل أرسطو مراتب اقناعات النفس وأراد أن يرتبها ويجعل لها قانوناً صناعياً ليتوصل بها إلى حقائق الأشياء قسم ذلك كما قسم العلوم التي يقدم شرحنا لها[1] ونظر فاذا أنواع القياسات والأقاويل يلتمس بها تصحيح رأي ويتوصل بها إلى حقيقة مطلوب إما عند أنفسنا وإما عند غيرنا تنقسم إلى ثلاثة أقسام إما أن تكون صدقا كلها ويقيناً لا شبهة فيها وإما أن كذبا تكون كلها وشكوكا وإما أن تكون صادقة في البعض وكاذبة في البعض الآخر وهذا النوع الأخير ينقسم ثلاثة أقسام إما أن يكون صدقه اكبر من كذبه وإما أن يكون كذبه أكبر من صدقه وإما أن يتساوى فيه الأمران فصار جميع أنواع القياسات خمسة يقينية وظنونية ومغلطة ومقنعة ومخيلة فصنف لكل واحد من هذه الأصناف كتاباً وعلم تناول هذه الطريقة بقوانين لا يمكن أحد أن يؤدي إلا خلاف جوهر الشيء المطلوب ولا يمكن أحد أن يرجع عنه ولا يقع فيه تهمة ولا شك وسماه كتاب البرهان وأما القياس الذي هو كذب كله فهو ما يخيل في الشيء أنه على صورة وليس هو عليها بالحقيقة ومثاله ما يعرض للعين عند النظر إلى المحسوس وربما تخيل الإنسان في الشيء خيالاً فاسداً ثم يبادر إلى العمل بما يقتضيه ذلك الخيال فتجيئ الأفعال رديئة قبيحة فصنف فيه كتاباً دل على وجوه هذه التخيلات من ان يقع وكيف يقع وسماه كتاب الشعراء والصناعة الشعرية وأما الذي صدقه أكثر من كذبه فهو ما توجد قياساته من أشياء مشهورة ليست ذاتية ولا جوهرية للمطلوب ولا بها قوامه فيلتمس الإنسان إبداع ظن قوي إما عند نفسه وإما عند غيره حتى يقع له وان لم يكن يقيناً فصنف فيه كتابا ودل على وجوه هذه الظنون وأنها تصدق ومن أين وكيف وأنها تكذب ومن أين وكيف وسماه الجدل والصناعة الجدلية وأما الذي كذبه أكثر من صدقه فهو الذي يغلط فيتوهم فيما ليس بحق أنه حق وفيمن ليس بعالم أنه عالم وهذا الغلط يكون على وجوه وعلى ضروب فصنف كتاباً دل فيه على وجوه التلبسات والتمويهات والأغاليط كيف تقع ومن أين وسماه صناعة السوفسطائية وهي الحكمة في اللغة

---

[1] كتاب السعادة تاليف بن مسكويه طبع بمصر سنة ١٩١٧ وهو الذي ذكرناه في صحيفة ١٦٧ .

اليونانية مشتقة من سوف وهو الحكمة من اسطيس وهو التلبيس والتمويه فكان معناه الحكمة المموهة وكل من كان قادراً على التلبيس والتمويه إما في نفسه بأن يوهم أنه حكيم وليس بحكيم فهو سوفسطائي وليس كما يظنه معلمو الإسلام انه كان في الزمن القديم رجل يقال له سوفسطا وكان يدفع حقائق الموجودات وأنه له شيعة ينصرون مذهبه ويسمونه به فإن هذا ظن لا أصل له ولم يكن قط رجل فيما سلف يقال له سوفسطا ولا سمي به أحد ولا نصر هذا الرأي قوم بأعيانهم وإنما ينسب إلى صناعة الجدل فيقال جدلي ليس أن هناك رجلاً يقال له جدل وأما الذي كذبه مساو لصدقه فهو الذي يلتمس به اقناع ما في أي رأي كان وأن يسكن السامع إلى ما يقال له ويصدق به تصديقاً ما وهو دون الظن القوي فصنف فيه كتاباً دل فيه على وجوه هذه الاقناعات ومن أين وكيف تقع وسماه كتاب الخطابة وهذه هي الكتب الخمسة المنطقية لكن أرسطو لما نظر في القياس وجد منه ما هو مشترك بهذه الفنون ومنها ما هو خاص كل واحد منهما فعمل للقياس الأول العام المشترك لجميع الصناعات الخمس كتاباً سماه كتاب القياس وهذا الكتاب يوجد في النقل القديم أحدهما كتاب القياس والآخر كتاب البرهان وهو باليونانية أنولوطيقا الأولى وأنولوطيقا الثانية ثم نظر في القياس فإذا هو مركب من ألفاظ ومعاني وأقل الأقاويل القياسية ما كان مركباً من لفظتين لفظتين وأقل المعاني القياسية ما كان من معقولين معقولين وأكثرهما غير محدود وهذه الأقاويل المركبة من لفظتين أجزاؤها ألفاظ مفردة لا محالة فبالضرورة انقسمت له الصناعة إلى ثمانية أقسام ذلك عن طريق التحليل فلما سلكه على طريق التركيب بدأ بالألفاظ المفردة الدالة على أجناس المعاني المفردة فعمل فيها كتاباً وحصر هذه الألفاظ في عشرة أجناس من المعاني ثم قسم كل واحد فيها إلى أنواعها وسماه كتاب المقولات وهو المعروف بكتاب قاطيغورياس ثم ثنى بكتاب ذكر فيه الأقاويل المركبة وسماه كتاب بارمينياس أي العبارة وثلث بكتاب القياس الذي ذكرناه فعلم فيه قوانين الأقاويل التي يبين بها القياسات المشتركة للصنايع الخمس وسماه أنولوطيقا الأولى وربع بالكتاب الذي سماه البرهان وهو أنولوطيقا الثانية فعلم فيه قوانين القياسات التي لا تغلط ولا يمكن فيها ذلك وهي اليقينية وخمس بكتاب ذكر فيه قوانين القياسات المأخوذة من الأمور المشهورة وكيف يكون السؤال أو الجواب على هذه الطريقة وعلم فيه القوانين التي تتم هذه الصناعة على أفضل وأكمل ما يمكن وسماه طوبقا وهو

كتاب الجدل وسدس بالكتاب الذي ذكر فيه قوانين هذه الأشياء التي يغلط عن الحق وغيره وأحضر الأمور التي يقصدها المموه وبين الأشياء التي تظهر فسادها وكيف يتحرز منها وسماه سوفسطيقا أي الحكمة المموهة وسبع بكتاب ذكر فيه قوانين الأشياء المقنعة بالخطاب وأحصى جميع ما يتم به هذه الصناعة ليكون الإنسان فيها أكمل وأنفذ وسماه يطوريقا وثمن بكتاب ذكر فيه قوانين الألفاظ المخيلة وأحصى جميع ما يتم به هذه الصناعة وقسمها إلى أنواعها وأصنافها وسماه بويطيقا أي الشعر لتتم هذه الصناعة على هذه الأقسام وكان غرضه الأول فيها القياس البرهاني ولكن أوجبت القسمة والترتيب ما ذكرناه وأيضاً فإن الأشياء التي تعرف بطريق البرهان يسيرة بالإضافة إلى ما يعرف بالقياسات الأخر فواجب أن يرتبها ويعلم طرقها وأيضاً فإن بعضها طرق البرهان وبعضها تحميه وتذب عنه إما الثلاثة التي في أوائل الصناعة فهي التي تؤدي إليه الأربعة الأخيرة هي التي يحامى عليه لئلا يشتبه به ما ليس منه وأشرف هذه الكتب كتاب البرهان لأنه المقصود الأول فوقع في القسم الرابع بالضرورة كما ذكرنا فيما سلف وباقي الكتب إنما عملت أما مداخل إليه وتوطئات له وإما حامية عنه أما الثلاثة التي تقدمه فهي المداخل وأما الأربعة التي بعده فهي التي تحرزه وتميزه وتحميه من الطرق التي يوهم أنها تؤدي إلى ما يؤدي إليه هو ومع ذلك إذا قصد الإنسان أن يكون مجادلاً قوياً أو خطيباً مصقعاً أو شاعراً مفلقاً نحا نحو ما يلتمسه واقتنى من الكتب الذي صنف فيه قوانين الصناعة ليصير بها في أعلى درجة منه وارفع رتبة فيه وإن اقتصر إنسان على الكتب الأربعة كفاه ذلك في تعلم الحكمة وقراءة الكتب بعدها وهي الكتب التي عددناها وشرحنا قسمة الحكيم لها فبدأ منها بالكتب التي من ذوات المواد وهي من الأمور الطبيعية واخر الكتب التي في الأمور المجردة في المواد إذ الطبيعيات محسوسة لنا وهي إلينا اقرب ونحن لها آلف وبها أعرف ومنها يمكننا الترقي إلى ما بعدها فصنف فيه كتابا ذكر فيه الأمور المشتركة لجميع الأشياء الطبيعية وما كان منها تحت الكون وما ليس تحت الكون وسماه السماع الطبيعي وصنف كتابا في ما يخص الأشياء التي ليست تحت الكون وسماه كتاب السماء ثم قسم الأشياء التي تحت الكون فعمل كتابا فيما هو مشترك للأشياء ذوات الكون كلها وسماه كتاب الكون والفساد وعمل كتابا في ما يختص في الأرض مما له نفس ولا حواس له وسماه كتاب النبات وكتابا في ما يختص بذوات النفوس وله حواس وسماه كتاب الحيوان ولما أراد أن يرتقي في

الطبيعيات وهي الأمور ذوات المواد إلى الأمور التي لا مواد لها وجد بين هاتين المنزلتين أموراً لها شركة في الطبيعة وشركة في ما بعد الطبيعة فعمل فيها كتابه في النفس وكتابه في الحس والمحسوس ثم عمل فيها بعد الطبيعة كتبه التي رسم عليها الحروف وهي المعروفة بالألف ياء وما بعدها فمنها ما نقل إلى العربية ومنها ما لم ينقل إلا أن فيما نقل غنى كثيرا وكفاية تامة ولما عمل في الجزء النظري هذه الأعمال العظام ونظمها هذا النظام كمل أيضاً في الجزء العملي هذا العمل بعينه وذاك أنه قسم إلى ما هو خاص بالإنسان في نفسه وإلى ما هو خاص بما كان خارجا عنه وهذا الثاني ينقسم إلى قسمين أحدهما تدبير المنزل والآخر تدبير المدن فعمل في كل واحد كتابا أما في ما يخص الإنسان بذاته فكتابه في الأخلاق فهو كتاب عظيم جدا كثيرا لمن يعلم كيف يكتسب الإنسان هبة فاضلة وسجية محمودة يصدر الأفعال الجميلة والأعمال المرضية وأما كتبه في تدبير المنزل والمدن فلم ينقل إلى العربية إلا ما وجد من كتابه في تدبير المدن وهو مقالنا وقد ذكرت في فهرست كتبه وله بعد هذه الكتب رسائل وكتب سماها التذاكير وهي كثيرة على ما يذكر ويحكى في فهرست مصنفاته وله كتب في التعاليم ولم ينقل منها شي إلا أن في النظام الذي خرج إلى العربية والترتيب الذي رتبه غنى عظيماً وراحة تامة لمن أحب أن يكمل ذاته ويتوجه إلى مقصده ليصل إليه بسرعة فأما مقدار الزمان الذي يفرض لمن أراد تعلم الحكمة على ما رتبه هذا الحكيم المحسن إلينا المنعم علينا فعلى مقدار عنايته واهتمامه ومعونات الاتفاق إياه اعني بها أن يكون ذكياً حفوظاً واجداً للكتب والأستاذ الفاتح والكفاية في المعيشة لئلا يشتغل بها عما يقصد فزوال العائقات التي لا يحتسبها الإنسان في عوارض الدنيا وهمومها وأمراض النفس والبدن واجتماعهما وحذر العوام مر والسلطان أخرى ومراقبة أهل البلد فان الناس كما يقول القائل اعداء ما جهلوا ومن شأنهم الوقيعة في أهل الفضل ومعادات كل من خالفهم في مذاهبهم وأغراضهم وقصد بكل مكروه وأذى[1] فإذا لم من هذه العوارض وكانت القريحة والأسباب التي ذكرناها مجتمعة له فما أقرب وصوله إلى بغيته وراحته من تعب أبناء جنسه وظفره بالكنوز التي زخرت ومدة ذلك على التقريب ما بين عشر سنين إلى عشرين سنة وهذا إذا شغلته الدنيا بعض الشغل فإنه لا يجوز أن يظن

[1] تعد هذه النبذة من ابلغ واحكم واصدق ما كتبه حكيم في وسائل تحصيل العلم وهي تصدق على كل الناس في كل زمان ومكان .

بإنسان انه ينفرد وينكمش على العلم ولا يجعل لبدنه راحة ولنفسه حظا من اللذات في ما يحسن ويجمل ولو تعاطى ذلك لخسره أو انقطع دون غايته وقد رأى بعض أصحاب أرسطو ومدرسي كتبه أن يبتدئ المعلم لها بكتب الأخلاق[1] لتتهذب نفسه وتصفو من كدر الشهوات ويخف عنها انفعال عوارضها فتتمكن من قبول الحكمة ويعترف بعض الاعتراف بترك الانهماك في الشهوات وهجران الملاذ الجسمية ويعلم أن أكثرها خساسات ورذائل فيتنزه عنا ثم ينظر في شي من التعاليم ليعرف طريق البرهان ويتدرب بها ويأنس بطرقها ويترك الإيغال فيها إلى وقت آخر فإن بين يديه غرضاً بعيداً وشوطاً بطيئاً ثم ينظر في المنطق الذي هو آلة في جميع ما يقصد يمكن" انتهى كلام ابن مسكويه في كتاب السعادة

* **

توفي أرسط أو أرسطو في ٣٢٢ ق.م. وبوفاته انقطع حبل الفلسفة وارتج باب الحكمة ولدى موته كان زينون مؤسس الفلسفة الرواقية في الرابعة عشرة من عمره لأنه ولد كما أسلفنا في ٣٣٦ .

وقد تلقى العلم على أتباع الكلابيين واختار من مذهبهم حب الطبيعة والدعوة إلى العودة إلى رحابها والاقتداء بها والاستسلام إلى أنظمتها وكان زينون مفكراً عميقاً ولو انه وجد قبل أرسطو وأفلاطون لكان له شأن يذكر لكن ظهوره بعد هذين الحكيمين يقلل كثيراً من قدره.

ومن دلائل فطنته وعلو كعبه معارضته لآراء الحكيمين في الروحانيات ودحضه ذلك وقوله إن سائر الأشياء مكونة من عنصر واحد وهو الجسم أو الكيان المادي الظاهر. وهذا رجوع إلى المادية الأولى وإحياء لطبيعيات هيراقليط وقال إن العالم والسماء من حين إلى حين يهلكان ثم يتجددان واستعار من أتباع فيثاغورس القول بان التاريخ يعيد نفسه ثم ينظر في الطبيعيات وما بعدها على الترتيب الذي تقدم فإذا وصل الإنسان إلى المرتبة الأخيرة اطلع على حقائق الموجودات ونزلها منازلها وتصورت نفسه بها فإذا تصورت النفس بحقائق الأمور عقلها عقلاً تاماً فإذا عقلها تصور بالصور العقلية وزالت عنه رسوم الأعراض التي في الأمور الطبيعية أعني الأشياء الدائرة وحصلت صور الأشياء العقلية السرمدية واتحد بها العقل فصارت هي

---

١ قال هذا ابن مسكويه لانه حكيم اخلاقي راجع كتابه (تهذيب الاخلاق) وحقيقة الواجب هو الابتداء بالمنطق .

وهو شيئاً واحداً ومن شأن العقل أن يصير جزؤه كلا كما يتبين ذلك له إذا وصل إليه فإذا فارقت نفسه بدنه انتقل إلى الوجود الثاني[1] الذي هو غايته الأخيرة وكماله الاقصى وهذه الحالة عسرة التصور جداً بعيدة فيما نشاهده ونعتاده ولا يمكن النطق بها ولا يسعها إلا بالطريق الذي يصل إليه من سلكه على الجادة التي بيناها وإذا مثلت بالأمثال المحكية لها مما اعتدناه وألفناه عرضت في الأمثلة مناقضات ومحالات لأجل أن المثال ليس من الممثل في شيء فلذلك عدل عن ذكره وقد عملت فيه على كل حال كل ما اجتهدت فيه أن يلوح منه أجلى ما وهذه نظرية استعارها فردريك نيتشه وسبكها في قالب جديد ولم ينسبها إلى صاحبها، وينشأ عن هذا القول بأن التاريخ يعيد نفسه التسليم بالقضاء والقدر بأكمل معنى لأنه ما دام تكرير الحوادث على نسق واحد معين أمراً محتماً فكل حوادث الحياة اذاً لا بد واقعة كما سبق تنظيمها بإرادة الأقدار وفي هذا المبدأ ما انتحلته بعض الأديان وسارت عليه مستسلمة "مسلمة أمرها لمن بيده الأمر". وسنرى بعد برهة تأثير فلسفة الرواقيين في الأديان. فإن مذهباً أساسه الاعتراف بكون الإنسان مسيراً لا مخيراً لا بد أن يجد قبولاً لدى أرباب الأديان وأنصارها والمتكلين عليها. أما رأي زينون في الإلهيات فظاهر أنه مادي لأنه يقول بأن الله "جسم" يملأ الكون كله ويبعث فيه القوة والحياة ومثل انتشار الدسم في وعاء اللبن الذي يضربه المتصوفون لتقريب معنى وجود الله في الكون أمر معلوم. ولم يكن ليخفف وقع هذا الاستسلام الفلسفي إلا القول بان العالم مخلوق بمنتهى الكمال والخير وان غايته سعادة المخلوقات وخيرها. وقد انتحل هذا الرأي ليبنتز بعد الرواقيين بعشرين قرنا. وروى عنه الشهرستاني (ص ٢٩٢) أن العوالم تتجدد في كل حين ودهر وما كان منها مشاكلا لنا أدركنا حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل وما كان غير مشاكل لنا لم ندركه وقال إن الموجودات باقية دائرة فاما بقاؤها فبتجدد صورها وأما دثورها فبدثور الصورة الأولى عند تجدد الأخرى. ا ه. كلام الشهرستاني.

بحأ أما نسبتهم إلى الرواق فلأنّ زينون اتخذ مدرسته في رواق مدهون بالألوان اسمه باليونانية Stoa Poikile كما تسمى تلاميذ أفلاطون بالمشائين نسبة إلى مكان مدرستهم. وصار اسم الرواقيين علما على الاستخفاف بالآلام وعدم الاكتراث للذة

[1] هذا ما لم يقل به ارسطو من انتقال النفس إلى الوجود الثاني بل قال بهلاك النفس بعد الموت اي انه لم يقل بالخلود.

والأذى وقد سارت هذه الكلمة وصفاً في كل اللغات الإفرنجية على تحمل الألم فيقال "تحمل الشدائد بشجاعة رواقية" ولا أعرف لهذا الوصف استعمالاً في اللغة العربية وقد رويت عن زينون أقوال تدل على تلك الحال النفسية التي مصدرها الاستسلام للقضاء، والقدر. قيل له إذا مت من يدفنك قال من يؤذيه نتن جيفتي. ونعي إليه ابنه فقال ما ذهب ذلك علي إنما ولدت ولداً يموت وما ولدت ولداً لا يموت. وقال محبة المال وتد الشر (ويكاد هذا يكون رأياً مسيحياً).

وكانت مبادئ الرواقيين تعارض مذهب أبيقور عابد اللذائذ قلت إن فلسفة الرواقيين نالت حظوة الأديان وضربنا مثلاً بالتوكل والاستسلام. ولكن ذلك لم يكن الوجه الوحيد الذي جمع بين الرواقية والأديان إنما هناك رابطة أخرى وهي أن زينو استعار من هيراقليط الاسم الذي وضعه علما على الله وهي logos أو لوغوس ومعناها الكلمة وكان زينو يقول أن المبدع الأول كان في علمه صورة إبداع كل جوهر وصورة دثور كل جوهر فإن علمه غير متناه والصور التي فيه من حد الإبداع غير متناهية وكذلك صور الدثور غير متناهية فكأن زينون يقول بازدواج المبدع الأول وظهور ذلك في العقل الخالق أو الفعال وفي المادة القابلة للتشكيل. أما كلمة logos اليونانية فمعناها الكلمة ولذا جاء في الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا: "في البدء كانت الكلمة (لوغوس) والكلمة كان عند وكان الكلمة الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان فيه كانت الحيوة والحيوة كانت نور الناس"! فتأمل كيف أن رأي هيراقليط ورأي زينو اتفقا بعد عدة قرون مع الكتب المنزلة المقدسة وقد قرر هذا الرأي ووضحه المؤرخ العالم و. بن في كتابه تاريخ الفلسفة القديمة ص ١١٤

نقول وبعد زينون جاء كليانت وكان شديد التدين ونظم صلاة نقلنا معظمها إلى العربية في عرض الكلام عليه وقد أدى به تشدده في الدين إلى التعصب الأعمى فأمر بقتل اريستارخوس العالم الطبيعي لقوله بدوران الأرض حول الشمس وحدث مثل هذا بعد مئات السنين على أيدي رجال الدين لجاليلية وسيرفيه وبرونو وغيرهم كثيرون وجاء بعده حريسبوس وعاش عيشة الحكماء وبسط الفكر الفلسفي جهد طاقته.

ثم إن المذهب الرواقي اشتهر وانتحله الرومان الذين تغلبوا على اليونان وظهر ثلاثة فطاحل لهذا المذهب هم سنيكا ومارك اوريل وابيكتت

أما سنيكا فقد درست تاريخ حياته ومبادئه مذ كنت أعد المواد لرواية نيرون

التي مثلت في القاهرة في عام ١٩١٩ وأظن أن ابلغ وأوفي ما كتب عنه ما ورد في كتاب تاسيت وسويتون المؤرخين الرومانيين والمعلوم من حياته انه نفي من رومه على عهد كلوديوس إلى أنّ ردته اجريبينا إلى وطنه بعد أن قتلت زوجها كلوديوس بالسم ووكلت إليه أمر تربية ولدها نيرون وكانت رزقت به (ورزئت به الدنيا) من زوجها الأول اينوباربوس وكان سنيكا صديقاً حميماً للقائد بوروس الذي شاركه في تدريب العاتية الغشوم وهو في صباه. ويظهر أن سنيكا كان دساسا أكثر منه حكيما فقد اشترك في كل المؤمرات التي تمت في قصر نيرون له وعليه واتهمه نيرون أخيراً بالاشتراك في مؤامرة غايتها خلع نيرون وتولية سنيكا مكانه ولم يشأ نيرون أن يقتل سنيكا جهاراً فاكتفى بأن أمره بقتل نفسه ففعل. وجاء في تاريخ تاسيت عن موته في الجزء الأول صحيفة ٥٠٢ ما يأتي:

"لما بعث إليه نيرون بالجند مزودين بأمر الانتحار قال لأصحابه الذين كانوا حوله ترون أيها الرفاق عجزي عن شكركم إنني أترك تاريخ حياتي نموذجاً تنسجون على منواله وهو أثمن ما لدي فاعتزوا به. لقد حاولت أن أكون مثال الفضيلة والصداقة والإخلاص. فبكى الحاضرون وهموا بتقبيله فقال لهم أين مبادئ الفلسفة وأين تعاليم الحكمة. ألم تتعلموا. بعد كيف تلقون المصائب بصدر رحب وعزم ثابت ونفس مطمئنة هل كانت قسوة نيرون مجهولة لديكم؟ لقد قتل أمه وأخاه (ونسي الحكيم ان نيرون اشترك مع أمه أجريبين وآخرين في قتل زوج أمه كلوديوس وكانت هذه فاتحة عهد المذابح) ولم يبق له إلا أن يقضي على أستاذه ومشيره. ثم ضم زوجته إلى صدره وقبلها قبلة الوداع ثم أمر ففتحت شرايينه فلم تقطر دماً فاعدوا له جرعة من السماج (مثل التي شربها سقراط) فقال وهو في النزع وافرحتاه انني أموت بالكأس التي مات بها سقراط وأمر خدمه فنقلوه إلى حمام البخار فأخذ يرش أرقاءه بالماء ويقول ها أنا أتوضأ أكراماً للمشتري الهي ومنقذي من آلام الحياة." ا هـ كلام تاسيت.

وهذه النبذة الجميلة البليغة التي نقلناها عن تاسيت (وهو في نظري أعظم مؤرخي الرومان وأعظم مؤرخي الأقدمين ما عدا هيرودوت وبلوطارخ وهما في صفه) تعطينا صورة ناطقة لموت سنيكا ولكنها تدل على معنى المذهب الرواقي كقوله "أين تعاليم الحكمة ألم تتعلموا كيف تقابلون المصائب بصدر رحب وعزم ثابت ونفس مطمئنة".

وكان سنيكا إسبانيا (أي من أبناء المستعمرات بالنسبة للرومان) ولد في العام الثالث للمسيح ومات في سنة ٦٥ ب. م. على دين آبائه وأجداده. ونحن لا نريد الانتقاص من قدره بقولنا إنه كان دساسا أكثر منه حكيما ولكن يظهر أن حياته السياسية اقتضت إغفال الحكمة والتضحية بها في سبيل مظاهر الحياة وحب النفوذ حتى إنه حاول في نهاية أمره أن يكون قيصراً رومانياً وهذه الفكرة الجنونية لم تخطر ببال أحد من الحكماء.

أما إيبقت أو إيبكتت ومعناه "المشترى بالمال" وليس هذا علماً ولكنه يشبه اسم "عبد الخير" في عرفنا لما كان الرقيق مباحاً. هذا الحكيم المسكين الذي لم يستفد من الدنيا شيئاً حتى ولا اسماً يعرف به غير وصف الرق والابتياع كان رقيقاً لرجل من أخبث الناس وأرذلهم وأقبحهم ذكراً في التاريخ وهو المعتوق ايبافروديت وقد درسنا حاله أيضاً في كتاب تاسيت وكان ايبافروديت هذا رقيق نيرون وصحبه طول حياته وسهل له كل الجرائم حتى جريمة الانتحار التي قضى بها على نفسه. فتأمل أيها القارئ اللبيب كيف أن بلاط نيرون أعظم الظالمين وأشد الطغاة بغيا خرج فيلسوفين معروفين هما سنيكا وايبقت. وكان المسكين أعرج ولعل عرجه نتيجة ضربة من ايبافروديت اللعين. وقد دفع به الظلم والأذى إلى أن يلتمس تفريجاً لكروبه في درس الفلسفة الرواقية التي تعلم احتمال المصائب ولقاءها بصدر رحب. وبلغ منها الغاية فصار شبه أستاذ إلى أن طرده دوميتيان الإمبراطور في سنة ٩ ب. م. مع جميع الفلاسفة لأنهم ضايقوه بمبادئهم التي تقاوم ظلمه (العفو يا صاحب الجلالة) فلجأ إلى نيكوبوليس وأخذ يعلم الحكمة وهو في غاية الفقر ولكنه بعد موته لم يعدم غنياً متهوساً محباً للظهور اشترى مصاحبه الذي كان مصنوعاً من الفخار (مسرجة) بثلاث آلاف دراخم (نحو ثلاثة آلاف فرنك) كما يصنع أغنياء الأمريكان لعهدنا في اقتناص آثار العظماء وكان الحكيم الأعرج المريض الفقير أولى بها يقوم أوده في حياته. ولم يدون شيئاً ولكن تلميذه فلافيوس اريانوس كتب عنه كل مبادئه في كتابين رأينا لهما ترجمة إنجليزية في ستة أجزاء بقلم إليزابت كارتر. وخلاصة فلسفته استسلام الإنسان للألم وتوطيد النفس عليه وقوله بان إرادة الإنسان فوق كل شيء وهي التي تؤدي إلى سائر الأعمال وإن جميع الناس أبناء الله والمثل الأعلى للحكمة في نظره سقراط وديوجين الكلابي.

أقول وأول ما علمت شيئاً عن ايبقت ما قرأته من الحكم والمواعظ التي اقتبسها

جون لوبوك وزين بها كتبه "سعادة الحياة" و"منافع الحياة" حتى يمكن القول بأن جون لوبوك كان تلميذاً لابيقت في العصر الحديث وابيقت واضع مثل "احتمل واصفح" وفيه ما فيه من نصائح المسيحية المكرمة. وإذا صح ظني كان تولستوي من أتباع ابيقت وبالجملة كانت فلسفته فلسفة استسلام وعدم مقابلة الشر بالشر وتعميم الحب. ولم أر أحداً من حكام العرب أو كتابه قد اعتنى بآراء هذا الحكيم الذي لا يشبهه في حكمته وشقائه إلا ايثوب الذي كان رقيقاً وفيلسوفاً وكتابه العيون اليواقظ الذي انتحل معظمه لافونتين ونقله محمد عثمان جلال نظما معروف ومتداول.

أما مارك اوريل الذي عاش ومات في القرن الثاني للمسيح فكان قيصراً حكيماً وقد شبهناه بالقديس لويس والملك ارتو الإنجليزي. وفي التشبيهين مبالغة لأن أرتو كان متديناً جداً ولويس كان مجاهداً في سبيل دينه أما مارك اوريل فقد كان حكيماً بحق وقد أنشأه أبوه على الحياة البسيطة واحتقار زخارف الحياة وعلمه الشدائد واختار له أفضل الأساتذة.

ولما تعين قنصلاً فإمبراطوراً حارب للدفاع عن مملكته وكان قائداً قديراً بالفوز حسن الإدارة في ملكه واتبع الحكمة في الابتعاد عن أنواع الفساد. ونشر العدل في بقاع الأرض. وسن القوانين لحماية الضعاف وتخفيف مصائب الأرقاء وعين ذاته وصيا على الايتام ومنع الظلم عن الولايات ومات على دين أجداده.

وبين يدينا كتابه الموسوم بالكتاب الذهبي وهو مقسم إلى اثني عشر كتاباً الأول خاص بذاته وذكر من استفاد منهم وبقيته تأملات ونصائح وخواطر سانحة في الخير والسعادة والحق وقواعد الحياة وقد نقلت هذه الكتب إلى عدة لغات. وأفضل ما رأيت عنها ما دونه ارنست رينان في المجلد السابع من تاريخ المسيحية وهو خاص بعهد مارك أوريل ومبادئه. (طبع ١٨٨٢).

ثم تكلمنا عن مذهب المشككين أو المرتابين[١] وزعيمهم كارنياديس الذي بالغ في التشكيك إلى درجة القول بعدم التأكد من العلم بشيء على الإطلاق. وهذا قول قديم سبقه إليه ارسطفن القوريني أو الرفني الذي قال إن العلم بالحوادث إنما يصلنا عن طريق الإحساس وهو نتيجة التأثر بالأمور الخارجة عنا ولما كان الإحساس لا يشبه تلك الأمور الخارجة حتماً فلا يمكن أن نعلم الأمور الخارجة علم اليقين وكان

١ صحيفة ١٢٧ من هذا الكتاب وقد ورد اسمهم خطا "سنيك" وصحته "سبتيك" كما ورد قبل ذلك وبعده في عدة مواضع من هذا الكتاب والخطا مطبعي محض فنرجو المعذرة .

همهم محاربة فلسفة اللذائذ الأبيقورية ويمكن القول بانهم كانوا فلاسفة وسطا بين الرواقيين والأبيقوريين.

ثم بسطنا الكلام على ابيقور بقدر ما وسمه المجال. وقد اهتم به العرب فقال القفطي "إن شيعة افيقورس ويسمون أصحاب اللذة لأنهم كانوا يرون الغرض المقصود إليه في تعلم الفلسفة اللذة التابعة لمعرفتها" وهذا خطأ فاضح لا يقترفه إلا جمال الدين. وقال الشهرستاني وهو أقرب إلى الحقيقة إن رأي ابيقورس خالف الأوائل في الأوائل (نورية لطيفة) فقال المبادئ اثنان الخلاء والصورة "أما الخلاء فمكان فارغ وأما الصورة فهي فوق المكان والخلاء ومنها أبدعت الموجودات وكل ما يكون منها فإنه ينحل إليها فمنها المبدأ وإليها المعاد وربما يقول الكل يفسد وليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافأة وجزاء بل كلها تضمحل وتدثر (ليس في الأمر"ربما" إنما هذا هو رأي ابيقور بالتأكيد.)

والإنسان كالحيوان مرسل مهمل في هذا العالم والحالات التي ترد على الأنفس في هذا العالم كلها من تلقائها على قدر حركاتها وأفاعيلها فإن فعلت خيراً وحسناً فيرد عليها سرور وفرح وان فعلت شراً وقبيحاً فيرد عليها حزن وترح وإنما سرور كل نفس بالأنفس الأخرى وكذا حزنها مع الأنفس الأخرى بقدر ما يظهر لها من أفاعيلها (شهرستانى ص ٢٩٧)

ولا حاجة بنا لتلخيص الأفلاطونية المستحدثة لقرب عهد القارئ بها.

وهذا ختام ما أردنا ذكره من فلسفة اليونان وذكر علمائهم الذين علمونا كيف يفكر الإنسان ولفتونا إلى أصل العالم ونبهونا إلى غايتنا من الحياة وفتحوا لنا نافذة تطل على فضاء الموت. وهذا منتهى الحكمة الإنسانية!

الإنسانية والتقدم
(تأثير الفلسفة اليونانية في العالم)

وجدت في أماكن متفرقة عظام مهولة وهي عظام الفيلة الأولى التي انقرضت (ماموث)[1] وعظام الحيوان الذي انقرض أيضاً وأطلق عليه كوفيه العالم الفرنسوي مؤلف كتاب "عالم الحيوان" وغيره اسم "مستودنت" أي ذو الأسنان الحلمية.

وهذه العظام وغيرها من الآثار الحيوانية والنباتية التي أطلق إليها علماء أوربا وصف Fossile ويمكن تسميتها بالعربية أحافير كانت معروفة منذ خمسة وعشرين قرنا عند اليونان فقد قال عنها زينوف الحكيم الإغريقي مؤسس الفلسفة العقلية (التي ظهرت مبادئها في مدينة إيلية اليونانية القديمة ونسبت إليها) إن هذه الآثار وتلك العظام هي بقايا حيوانات ونباتات كانت حية في الماضي واستنتج من وجود أصداف بحرية في رؤوس الجبال ومن انطباع صور السمك والفقم في أحجار مقالع أزمير وسرقوصة أن تلك الأماكن كانت مغمورة بالمياه.

فإذا وجب رد كل شيء إلى مصدره حق على العالم أن يعترف بأن زينوفون[2] الإغريقي هو واضع علم البالنتولوجيا أو الأحياء الأولى وإذا كان الفضل يرجع إلى كوفيه في تنظيم مبادئ هذا العلم في القرن التاسع عشر بعد أن اتسع نطاق المعارف الإنسانية فإن الفضل راجع إلى العالم الذي عاش قبل كوفيه بأربعة وعشرين قرناً.

كان الناس في العصور الوسطى يحسبون هذه العظام المهولة أنها بقايا من طوائف الجبابرة البشرية الذين كانوا يعيشون على سطح الأرض قبل الإنسان كما كانوا يحسبون أحجار السليس Silex التي وجدت في أنحاء أوربا قطعاً هابطة على رؤوسهم من السماء ويسمونها حجر الصاعقة وقد ثبت من أبحاث العلماء أن تلك الأحجار المنظمة التي وجدت في مجال الأنهار وفي جوف المغاور بين طبقات متكدسة من الطمي والكلس وغيرهما من العناصر الحجرية لم تهبط من السماء كما هبطت

---

١ بعد تحرير هذا الفصل قرأنا خبر عثور العلماء على آثار حيوان يعدونه أقدم عهداً من الماموث .

٢ – هو غير زينوفون تلميذ سقراط وهو مذكور في صحيفتي ١٦ و١٧ من هذا الكتاب .

الأرواح من المحل الأرفع إنما هي أدوات كان الإنسان صنعها واستعملها في شؤونه في العصر الحجري[1] وأن في هذا الأمر لعبرة كبرى. فإن بعضنا يظن أن الحقائق العلمية التي تظهر في جيل من الأجيال تصبح ملكاً عاماً شائعاً للإنسانية فتتلقفها الأجيال المتتالية ويتوارثها الناس بالتعليم والتلقين فلا تضيع بل تصبح جزءاً من الثروة العقلية التي تنمو بالإنتاج والاقتصاد والتوافر.

وكان هذا الأمر واجباً بل يدهشنا عدم ظهوره ظهور الشمس ويذعرنا عدم انقطاع العلماء لتحقيقه لأن إهماله يزيد الجهل تخييماً على العقول إن مصيبة الإنسانية ليست في عجزها عن إدراك الحقيقة. ولكنها في طمس معالم الحقيقة كلما ظهرت ودفنها تحت أكوام مكدسة من تراب الجهل. إن كثيراً من الحقائق التي نكتشفها اليوم ونظن أنها حديثة وأنا لنا الفضل في إظهارها من عالم الخفاء إلى نور الظهور كانت معلومة لدى الأقدمين وثابتة لديهم ثبوت الشمس في رابعة النهار ولكن الجهل الإنساني طمس آثارها وأخفى معالمها وجعل نارها رماداً ونورها ظلاماً. خذ بذلك مثلين واضحين الأول مثل اليونان فقد بلغت بحكمتها وتدبيرها وعقول أبنائها وعلومهم وأنظمتها الاجتماعية والسياسية ومظاهر حياتها الأدبية والفنية مبلغاً جعلها معلمة العالم ومرشدة الأمم ويمكن القول بغير مبالغة أن ما وصل إليه أرسطو وأفلاطون وسقراط وأبيقور وزينوفون وسوفوكليس وفيدياس ويركليس وصولون وديموستين لم يصل إليه إنسان بعدهم في سائر فروع الحياة العقلية التي نبغوا فيها فقل لي أين آثار هؤلاء وأين علومهم وأين حكمتهم وأين فنونهم وأين ثمرة جهودهم التي جعلتهم آلهة يسيرون على الأرض. إن لدينا من كل ذلك نتفا ذات قيمة في ذاتها ولكنها تافهة بالنسبة لمجموع ثمرات عقولهم التي لو جمعت ونظمت ودرست على حقيقتها لكانت كافية لتنوير الإنسانية وتقدمها إلى آخر الدهر ودليلي على ذلك أن هؤلاء الحكماء الأوائل لا يزالون ولن يزالوا المصدر الأول لكل من يريد أن يستقي الحكم من منبعها ولا يزال كل من يجهل آثارهم لا يعد داخلاً في زمرة العلماء أو المتأدبين.

المثل الثاني في مصر وهي أشهر من أن تذكر فقد بلغت علومها وفنونها وآدابها منذ أربعين أو خمسين قرناً مبلغاً لا تزال آثاره ظاهرة للعيان في آثارها

١ - راجع مبحث الدكتور شبلي شميل في مذهب النشوء والارتقاء .

ونقوشها وصحفها. وإذا حق لنا أن نذكر حكماء اليونان وننسب إليهم الفضل في إخراج الإنسانية من غيابة الجهل وإرشادها نحو المثل الأعلى في العلوم والفنون والآداب فيكفينا في التدليل على قدر مصر أن هياكلها المقدسة كانت مدارساً لفلاسفة اليونان أمثال من ذكرنا وفيثاغورس نفسه أقام عدة سنين يتلقى العلم على الكهنة في معابد ثيبا وهليوبوليس. فأين هذا كله الآن وهل نرى في مصر وقد زاد خصبها وزكا زرعها وفاض نيلها وتضاعف عدد سكانها جزءاً من مليون من علوم مصر العظيمة التي فنيت. هل أشرق في سماء مصر شعاع واحد من تلك الأشعة التي انبعثت في فجر المدينة فأضاءت اليونان أولاً والعالم كله ثانياً

ان كل فكرة وكل خاطر يمر بالنفس وكل سطر يدونه كاتب وكل صورة ينقشها طفل وكل بيت من الشعر تنطق به سجية حساسة على لسان الفطرة بل كل نظرة تدل على الفطنة كلها ملك الإنسانية وجزء من ثروتها العقلية وينبغي تدوينها وتسجيلها على حقيقتها ونشرها بين الناس وتلقينهم إياها ليستفيدوا منها سعادة عقلية أو لذة معنوية أو خبرة تنفعهم في حياتهم.

إن الطفل يرث من والديه كل المميزات البدنية والنفسية يرث الفضائل والرذائل يرث الميول والشهوات يرث المحاسن والأضداد وليس قانون الوراثة بواقف عند حد الوالدين بل هو يتعداهما إلى الأجداد مهما علو وقد ثبت هذا الرأي وأصبحت الرجعي Atavisme من المسائل المسلم بها فكيف يستبيح الناس أو القائمون بأمرهم من العلماء والمرشدين والمعلمين أن يسلموا الطفل إلى العالم وقد ورث كل العيوب الإنسانية وهو مع هذا خلو من كل ما أدركته عقول أسلافه ووصلت إليه جهود أجداده في سائر بقاع الأرض وفي كل زمان سابق لمولده.

أليس من أعظم الجرائم أن تترك الإنسانية تائهة ضالة في مهامه الجهالة أليس من العبث كل ما يحاوله العلماء في سبيل البحث عن الحقيقة إذا كان كل ما وصل إليه أسلافهم قد ضاع واختفت آثاره وإذا ذكر في كتاب على رأس قلم باحث جديد إنما يذكر من قبيل خطرات الأفكار أو غرائب الأقوال أو فكاهات تروح على النفس وتقطع الوقت وتقتل الزمن؟

إن العلوم التي تلقن بالمدارس هي أحقر وأضر معلومات البشر وينبغي القضاء عليها ومحوها من سجل التعليم الإنساني. إنها عبارة عن مجموعة سخافات تافهة مبهمة قد سبكها في قالب التدريس قوم جهلاء وقد سارت الدنيا على هذه الأساليب العقيمة الغير المثمرة أجيالاً لا تحصى وينبغي أن تزول تلك الأساليب وتلك

المعلومات من عالم الوجود.

ينبغي إحراق كل الكتب والكراسات التي تقدم للتلاميذ في كل انحاء العالم وينبغي أن يجتمع مؤتمر من علماء كل الأمم وأن ينتقل في سائر بلاد الدنيا ويقضي بين الشعوب المختلفة مدة كافية للوقوف على أحوالها وأخلاقها ومواهبها وبيئتها الطبيعية والمعنوية وبعد ذلك يتفرغ هذا المؤتمر لوضع برنامج لتعميم التعليم في أنحاء الدنيا لا فرق في ذلك بين الأجناس والملل ينبغي توحيد التعليم وتوحيد المدنية وتوحيد الحياة العقلية في كل مكان. ينبغي أن يقف كل إنسان على أهم ما انتجته العقول الإنسانية من المباحث وما وقف عليه العلماء من الحقائق في كل فرع من فروع الحياة. إن الماضي من هذه الوجهة أكبر شأناً من المستقبل لأنه مجموعة اختبارات جليلة عظيمة تفيدنا في خطواتنا إلى الأمام[1]

إن كثيرين من المفكرين ينسبون إلى الإنسانية غريزة البقاء على حالة واحدة. ويقولون أن الإنسان ميال بفطرته للمحافظة على كل قديم لا لأنه صحيح أو موافق للحقيقة إنما للتعود. إن الإنسانية أسيرة العادة. وهي كذلك شديدة الكسل. فهي تعودت أن تدرك الأشياء على حال معينة ولا تريد التغيير في طريقة التفكير وتعتقد في صحة أشياء معينة لأنها تلقنت الاعتقاد بصحتها فلا تريد أن تنزع عن عقلها هذا الاعتقاد حتى ولو ثبت أنه فاسد وأنه قائم على ضلال قديم حتى ولو قامت البراهين العلمية العقلية على صحة غيره من الآراء وأصبحت تلك الآراء ملك مشاع لكل الناس يمكن الوصول إليها بسهولة. فإنك تجدهم يعرضون عن الجديد الصحيح من العلم الموافق للعقل ويتشبثون بالقديم الباطل من العقائد المخالف للعقل لأن الإنسانية مكسال تريد أن تجلس لتستقبل شمس الصباح دون أن تعرف كنه الحرارة تريد أن تنظر بخمول إلى الكواكب ولا تريد ان تعرف ما وراءها تريد أن تمتع نظرها بالمخلوقات دون أن تعكر صفوها لحظة من التفكير في أصلها ومنشأها ومصيرها وموردها. الإنسانية أسيرة العادة وحليفة الكسل وهي فوق ذلك محبة للتقهقر ميالة للرجوع إلى حالها الأولى حال الحيوانية والتوحش دون أن تبذل جهد في السير إلى الامام. الإنسانية ابيقورية المذهب.

وإذا خرج من أحشاء تلك المكسال ربة الخمول أسيرة العادة وحليفة كل قديم

١- انني اقترح نقل جميع مؤلفات فلاسفة اليونان إلى اللغة العربية ولا ارى وسيلة لتقدمنا العقلي بغير هذا .

مولود جديد وحاول النظر إلى النور أو التنفس فإنها فوراً بما لها عليه من حقوق الأمومة وبما اكتسبته من الغلظة وحب الأذى حتى في تأديب أطفالها تبادر إلى ضربه وتعذيبه وكم فمه وحجب عينيه فلا يشم إلا نتنها وعفونتها ولا يرى إلا سواد ليلها وظلام عقلها فإن تشدد في المقاومة وكان طفلاً نجيباً شجاعاً نابغاً تحاول اخفات صوته باللين والملاطفة فإن لم يذعن فإنها لا تتردد بعد ذلك لحظة واحدة في القضاء عليه إنها تضحي به على هيكل العادة والكسل والبهيمية فتوعز إلى أبنائها الذين ثبتت طبيعتها في افئدتهم بقتله فتارة يسجن حتى يموت وطوراً يلقى به من حالق وطوراً يصلب ومرة يحرق. وبعد أن تزهق روحه ويصير جسده تراباً تعود الأم فتأخذها الشفقة على ولدها وتقول وأحرقلباه على ولدي كان ذكياً وكان حاضره ينبئ بمستقبل سعيد فتأمر بتمجيد ذكره وإقامة الأنصاب على شكله وتأمر بجمع آثاره ولم شعث أفكاره وتقيم له مأتماً فخماً فيظن الرائي أن ولدها لو عاد إليها لأحلته محل الإنسان من العين. ولكن إذا وصل إلى علمها أثناء تمجيد ذكر ذلك الذي بذلته وقتله أن أخاً له حاله كحاله فإنها لا تتردد لحظة في القضاء عليه لتعود بعد حين فتخلد ذكره. وهكذا تستمر تلك العجوز المكسال الماكرة الذميمة الخلق والخلق تقتل النجباء وتستبقي الجهلاء والسخفاء لأنها لا يطيب لها العيش إلا في ظلال الجهل والكذب والخداع ولا تحب النور لأنها من بنات الظلام.

مائدة أفلاطون

أشخاص الوليمة التي دارت بينهم المحاورة

أبولودورس _صديق له _جلاكو _أريسطوديمس _سقراط _أجاثون _ فيدروس _بوسانياس _اريكسماكوس اريسسطوفانيس _ديوتيما _السيبياديس

(ابو لودورس) _أظن الموضوع الذي تسألني فيه لا يزال حاضرا في ذهني، لأنني بينما كنت أمس عائدا من فاليروس إلى داري، رآني صديق فدعاني وقال ممازحا "يا ابن فاليروس! ألا يمكنك أن تنتظر لحظة، حتى تقص علي ما سمعته من المحاورة التي دارت على الحب في مجلس ضم اجاثون، وسقراط والسيبياديس، وغيرهم؟ وقد سمع بهذه المحاورة صديق رواها له فينيكس بن فيليبس وذكر لي أنك تستطيع أن تعيدها بإسهاب وجلاء، فتكرم علي بإعادة تلك المحاورة فإني أعلمك صادق الرواية لما تسمعه من أخبار أحبابك وأصدقائك. ولكن بحقي عليك هل سمعت المحاورة بإذنك أم رويتها عن سواك؟"

(فاجبته) _يلوح لي أن مخبرك لم يجل لك ما غمض عليك فأنت تسألني إن كنت سمعت المحاورة بأذني كأنها بنت أمس وكأنني كنت من أشخاصها!

(جلاكو) _لقد ظننت ذلك

(فأجبته) كيف يكون ذلك يا جلاكو وأنت تعلم أن اجاثون غائب عن المدينة منذ أمد بعيد ولم يمض أكثر من ثلاث سنين على ملازمتي سقراط، ومحادثته وتقييد أقواله، ومراقبة أعماله؟ أما قبل ذلك فقد كنت هائماً على وجهي، لا أستقر على حال، ولا أعرف لنفسي مكاناً تسكن إليه، وكنت في ذلك العهد أشعر بشقاء وغم أعظم من شقائك وغمك اللذين تشعر بهما الآن وكنت أود لو أنني عشقت غير الحكمة التي تشقي من يحبها...

(جلاكو) _مقاطعاً _لا تماحك واذكر لي ما تعلم عن المحاورة!

(أجبته) _لما كنا في عهد الطفولة، ونال اجاثون جائزة لحذقه وضع الروايات التمثيلية الفاجعة، وبعد ذلك الفوز العظيم بيوم احتفل اجاثون وجماعة الممثلين احتفالاً فخماً قدموا فيه الضحايا للآلهة...

(جلاكو) _يظهر لي، أن ذلك الخبر يرجع الي السنين الغابرة، فمن ذا الذي رواه لك، وقص عليك القصة بأكملها، وهل سمعت تفصيل الخبر، من سقراط بذاته؟

(فاجبته) _لا وحق المشترى! بل سمعته من محدث فينيكس نفسه رجل اسمه

أريسطو ديمس ينتمي إلى "سيداثينا" وهو شخص قصير القامة، نحيل البدن، كان يسير في الطرق بلا نعال. وكان حاضراً بذاته الوليمة التي أولمها اجاثون أكراماً لفوزه، لأن أريسطو ديمس كان أعلق أهل زمانه بسقراط، وأكثرهم اعجاباً به، وقد سألت سقراط عن بعض ما سمعته من مريده أريسطو ديمس، فأكده لي.

(جلاكو) _فلماذا إذن، لا تقص علي هذا الحديث الحسن ونحن سائرون إلى المدينة؟ سيما فالسبيل سهل لا تشوبه شائبة، ولا تعتوره وعورة، ولا شيء أدعى لتسهيل السير من المحاضرة!

فأخذت أقص عليه ما وعته الذاكرة، من المحاورة التي دارت على الحب، وحاولت جهد طاقتي أن لا يفوتني مما سمعت شيء، فإذا أردت أنت أيضاً أن أعيد على سمعك هذه المحاورة، فلا أضن عليك بما تريد، فإنه لا يسرني شيء مثل الكلام في الحكمة، أو سماع ما يقال فيها. وهذا لسببين: الأول ما لمستنبطه من الفوائد وما استوعبه من المنافع من أحاديث الفلسفة، والسبب الثاني إشباع ما ركز في نفسي من غريزة حب الحكمة. ولكني كلما اسمع أحاديثك عن عجول الذهب وعباد المال أشعر بحزن شديد، وأشفق عليك يا من لا تعمل شيئاً وتحسب نفسك تقوم بكل شيء! ربما تظنني مسكيناً بائساً وأنت عند ظنك أما أنا فلا أظن بل أعتقد وأؤكد أنك كذلك!

(رفيق) _إنك لا تتغير أبداً يا أبولودروس! فأنت على الدوام تنتقص الناس وتبخس نفسك، ويلوح لي أنك تحسب سائر الناس أشقياء بائسين وأنت فيهم، وليس في الوجود شخص سعيد سوى سقراط، وهذا ثبات في الرأي يندر في المجانين وقد ادعى الناس بأنك منهم!

(ابو لودروس) _حقيقة الأمر يا صاحبي هي أنني مجنون لأمر واحد: وهو تشبثي برأيي فيك وفي نفسي.

(الرفيق) _ليس يجدينا أن نبحث في تلك الأمور نفعاً يا أبولودوروس! فتفضل عليّ بالحديث الذي وعدت.

(أبو لودروس) _سأشرع توا في الحديث، وأتلوه عليك بالترتيب الذي اتبعه أريسطو ديمس.

روى أريسطو ديمس أنه لقى سقراط يوماً نظيف الوجه، حسن الهيأة، منتعلا على خلاف عادته، فسأله عن حاله ولأي شيء خرج عن حده في التزين والتجمل، فقال سقراط: دعاني أجاثون إلى وليمته، فلم أجبه أمس لاجتماع قوم من الغوغاء عنده أثناء بذل الضحايا للآلهة، واليوم قصدت أن أجيبه. أما عن تزيني فاعلم أنه ينبغي لك أن تتجمل إذا أردت أن تدنوا من أرباب الجمال، وأنت يا أريسطو ديمس ما قولك في أنك تصحبني غير مدعو إلى دار صاحبنا اجاثون؟ فقال جاء في الأمثال

"لا كلفة ولا دعوة بين الأخيار" وقد أخطأ هوميروس، ولم يحسن استعمال هذا المثل في الإلياذة إذا وصف اغاممنون بالشجاعة والبطش في ميدان الوغى وذكر عن مينيلاس أنه جبان عاجز وهيأ له أن يتطفل على مائدة اغاممنون عملاً بالمثل السابق على ما بينهما من الفروق في الأخلاق.

قال أريسطو ديمس: وإني أرى نفسي يا سقراط في مأزق حرج لا يقل ما يلحقني من اللوم والذم فيه عما لحق مينيلاوس فإني لي أن أضارع أجاثون فضلاً، أو أدانيه فخراً! أفلا تنتحل لي يا سقراط عذراً أركن إليه؟ كأن تقول أنك دعوتني؟

قال سسقراط لعلنا في طريقنا نوفق إلى عذر ننتحله... فانطلقا. وكان سقراط في أثناء الطريق قد فتح عليه فأخذ يفكر فيما طرأ له فسار الهوينا وتخلف عن رفيقه أريسطو ديمس فلما رأى أن رفيقه انتظره سأله أن يتقدمه فصدع بأمره.

ولما بلغ دار اجاثون وجد الباب مفتوحاً ورأى عبداً يستقبل الأضياف، فلما بصر العبد به دنا وسار بين يديه إلى أن بلغ مجلس الاضياف، فلما بصر اجاثون بأريسطو ديمس قال:

(اجاثون) _جئت في وقت حاجتنا إليك، فأنت ضيفنا الليلة على العشاء، فان كانت لك حاجة فارجئها إلى فرصة أخرى، كنت ألتمسك أمس لأدعوك، ولكنني لم أهتد إليك: ولكن كيف أنك لم تصطحب سقراط؟ (فتلفت اريسطو ديمس لعله يرى سقراط فلم يره لأنه لم يبلغ الدار)

(اريسطو ديمس) _لقد جئت معه وهو الذي دعاني الي وليمتك!

(اجاثون) _لقد احسنت ولكن اين سقراط؟

(اريسطو ديمس) _كان يصحبني في قدومنا، ولكن لا أدري أين هو!

(اجاثون) _لأحد غلمانه _اذهب يا غلام واستقدم سقراط أما أنت يا اريسطو ديمس فاتكىء هنا بجانب اريكسماكوس ثم أمر عبداً أن يغسل قدميه ليستطيع الاتكاء ثم جاء عبد غير الذي راح يبحث عن سقراط وقال إنه لجأ إلى خلوة ووقف وأبى أن يدخل غرفة الاضياف فنهر اجاثون عبده وأمره أن يذهب ولا يعود بدون سقراط.

(اريسطو ديمس) _دعوه ولا تقطعوا عليه تأملاته! فهذه عادته إذا أدركه التفكير، يخلو بنفسه حتى يفرغ من النظر فيما عرض له فإذا ترك وشأنه لا محالة يحضر.

(اجاثون) _ليكن لك ما تريد! لعبيده وخدمه _اعدوا لنا المائدة أيها الغلمان واحضروا لنا ما تريدون لأنني لا أريد أن يكون لمائدتي رئيس وكأنني وأضيافي ضيوف عليكم فلا تقصروا في حقنا!

ثم شرعوا في تناول الطعام ولما يخرج سقراط من خلوته وكان اجاثون يشدد في استقدامه واريسطو ديمس يلح في تركه.

وبعد الفراغ من نصف الطعام دخل سقراط ولم تطل خلوته كعادته فلما بصر به اجاثون وكان متكئاً على حدة في مؤخر المائدة قال له:

(أجاثون) _إلى يا سقراط واجلس بجانبي لعلني استفيد بمجاورتك ثمرة ما أوتيته من الحكمة بعد أن خلوت بنفسك أمداً ولا ريب في أنك استنبطت رأياً جديداً أو فكراً صائباً. فجلس بجواره وقال:

(سقراط) _لو كانت الحكمة كالماء تفيض من وعاء مملوء إلى وعاء خلو منها حتى يستوي نصيبا الوعائين إذن لعددت نفسي أسعد الناس حالاً بمجالستك لأنك كنت تملأ وعائي حكمة وعلما. لأن حكمتي غامضة مبهمة وهي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة. أما حكمتك فمتألقة وقد جزيت عنها بما تستحق من التكريم وقد فقت وأنت لا تزال فتيا الشيوخ في الفضل والأدب وانبعثت أنوارهما منك فكنت منبثقا لنور لا تدركه ظلمة وقد شهد بذلك أمس ثلاثون ألفا من الإغريق.

(اجاثون) _أنت تسخر مني يا سقراط وعما قليل سنحتكم في فض هذا النزاع الفلسفي إلى باكوس إله الخمر أما الآن فبادر إلى تناول ما تسد به رمقك!

وبعد أن فرغ سقراط وصحبه من تناول الطعام واتكؤوا على وسائدهم وذرابيهم المبثوثة وصبت السكائب وأنشدت الأغاني للإله وأقيمت سائر الرسوم والشعائر المعروفة أخذ الجماعة يشربون الخمور المعتقة ويحيون شريعة باكوس فتقدم بوسانياس بهذا الرأي

(بوسانياس) _أي الطرق أحب إلى قلوبنا في معاقرة الخمر؟ لا أخفي عليكم إنني لا أزال مريضاً من أثر النبيذ الذي شربناه أمس وأشعر من نفسي بحاجة إلى هدنة وأحسبكم جميعاً كذلك لأن هذا المجلس كان يضمنا جميعاً فانظروا في أمرنا كيف نشرب في ليلتنا هذه بحيث تبهجنا النشوة ولا يزعجنا الخمار.

(أريسطو فانيس) _نعم الرأي رأيك يا بوسانياس! فخير لنا أن نمزج كميت الكؤوس بماء الاعتدال فإنني كنت ممن غلبهم باكوس على أمرهم فأغرقني هذا الإله القاسي في جرعة لبهيمة!

(اريكسما كوس) _إنني على رأيكما وأريد أن أعلم هل ينوى اجاثون أن يعيد الكرة الليلة؟

(اجاثون) _كلا! فإنني لا أستطيع أن أنال من الراح ما نلت أمس.

(اريكسماكوس) _ان كان هذا رأيكم وأنتم ائمة الخمر فأخلق به أن يكون رأيي ورأي غيري ممن لم يتعودوا عبادة باكوس حق عبادته أمثال أريسطو ديمس وفيدروس وغيرهما على إنني استثني سقراط لأنه القادر على كل شيء فلذا يسره ما يسرنا

ويرضيه ما يرضينا وحيث إنه ليس فينا من ينوي الإكثار من النبيذ فقد هيأتم لي بابا ألج منه إلى تبين مضار السكر ونقائصه فأقول إن الطب يدلنا أن السكر مضر فلذا ترونني لا أفرط في الشراب ولا أشير على أحد بالخمر ليلة بعد ليلة..

(فيدروس) _انك مصيب في قولك، ولي ثقة في نصائحك الطبية وسأسير الليلة على خطتك إذا سار سائر الأصحاب.

فاتفقوا جميعاً على أن يشربوا ليطربوا لا ليسكروا.

(اريكسماكوس) _حيث الأمر كذلك فلن يرغم أحد على أن يشرب أكثر مما يطيق ولا حاجة لنا بالنافخة في المزمار فإما نرسلها إلى خدر النساء تطربهن بأنغامها وأما نتركها تنفخ لنفسها وليكن مجلسنا قاصراً على ما يدور بيننا من المحاورات وإن أذنتم لي اقترحت عليكم بحثا يدور عليه محور السمر!

فضج الجميع فقالوا "اقترح علينا ما تريد!"

(أريكسماكوس) _إن ديباجة حديثي تشبه أسلوب مناليب ليوريبيد لأن الحديث الذي سأرويه ليس صادراً عني لأنني وسيط بينكم وبين صاحب الرأي وهو فيدروس فانا انقل لكم ما يريد إبلاغكم إياه ذلك أنه شكا لي مرة بعد أخرى قائلاً أليس من العجيب يا اريكسيماكوس أن لا يكون بين الأناشيد والأغاني التي يترنم بها الناس أغنية واحدة أو نشيد مفرد ينظمه شاعر من الشعراء لتمجيد الحب وهو من أعظم الأرباب وكيف أن كبار المغالطين أمثال بروديكوس يسبحون في شعرهم باسم هرقل وليس فيهم من أعطى الحب حقه من التسبيح والثناء. واغرب من ذلك أنني عثرت بالأمس بكتاب أحد الفلاسفة وقد ذكرت فيه محاسن الملح ومنافعه وغير ذلك من السفاسف فغضبت لضياع أمثال تلك الدرر الغوالي في تمجيدها ودهشت لإحجام الشعراء والكتاب عن امتداح اله الحب وهو من أعظم الأرباب!!

فوجدت قول فيدروس على جانب من العدل فلذا اقترح الليلة عليكم اقتراحاً يجدر بكم تنفيذه ولا ريب أن فيدروس يغتبط به اغتباطا عظيماً، وهو أن تطرحوا الحب على بساط البحث والمناقشة شريطة أن يمدحه كل منكم بأبلغ ما يستطيع وليبدأ فيدروس لأنه أول درة في عقدنا بحسب ترتيب الجلوس ولأنه صاحب الاقتراح.

(سقراط) _ليس هنا من يعترضك أو يخالف رأيك أما أنا فلا أكترث لشيء سوى الحب وكذلك اجاثون وبوسانياس واريسطو فانيس فقد قضوا حياتهم في تمجيد الزهرة آلهة الحب وباكوس إله الخمر بل كل الجالسين هنا حالهم واحدة ثم إن أماكن أصحابي في الجلوس تأذنهم بالبداية في الحديث فلا تبلغني النوبة حتى يكونوا قد وفوا البحث حقه واستقصوا محسنات البلاغة في ترصيعه وتجميله فيكون قولنا بعدهم فضولاً وتطفلاً فباسم السعد أدعو فيدروس إلى الكلام!

قال أبو لودورس لرفيقه "ولا يذكر اريسطو ديمس سائر ما قاله كل بمفرده إنما

علق بذهنه أهم ما قيل وهاك بعض ما أذكر مما رواه لي اريسطو ديمس" شرع فيدروس في الكلام على الحب فقال:

(فيدروس) _إن الحب رب عظيم قادر وهو موضع إعجاب الأرباب والناس لدواع كثيرة أهمها منشأة وأصله فهو من أقدم الآلهة وليس له والدان ولم يذكر شاعر من الشعراء أن غيره من الأرباب يماثله في ذلك وقال هصيود "إن الفوضى سادت الكون ثم خلقت الأرض فكانت أساساً ثابتاً لكل شيء وتلاها الحب في الخليقة" وقال بارمنيدس عن اصل الخلق "إن الحب كان قبل غيره من الآلهة" وقد اتفق اكيوسيليس وهصيود في هذا الرأي فالحب باتفاق جميع الحكماء من أقدم الأشياء دع عنك أنه منبع أعظم المنافع لبني الإنسان فليس في العالم سعادة ولا نفع أعظم مما يعود على انسان في مقتبل العمر من محبه أو محبوبه فلا شرف المولد ولا عز الغنى ولا علو الحياة توقظ في نفوس عشاق المجد من العواطف التي تضيء نفوسهم وتنير بصائرهم ما يوقظه الحب منها فمن تلك العواطف عاطفة الخجل من السقوط في هوة العار وعاطفة التفاني في حب العلا التي تؤدي إلى القيام بكبار الأعمال وعظائم الأمور وليست هذه القاعدة مقصورة على الأفراد بل تتعداهم إلى الجماعات والشعوب فإنه بدون هاتين العاطفتين لا يتهيأ لأحد إتيان الأعمال الجليلة الجميلة ومما يثبت قولي أن العاشق إذا اقترف إثماً أو استغضب ولم يغضب جبناً لا حلماً وكان ذلك في حضرة من يحب فأن ألمه من الخجل من محبوبه يكون أشد وأقسى مما لو كان سائر أهله وأقاربه وصحبه وسواهم يشهدون مذلته ويحدث مثل ذلك بين الأصدقاء فيصعب على الصديق أن يلقاه صديق في حال شائنه أو في فعل مهين.

وكذلك إذا ارتبطت قلوب فئة قليلة أو كثيرة برباط المودة وكونت حكومة أو جيشاً محارباً فلا ريب في أن ما بينهم من روابط الصداقة والود يدعوهم إلى أداء ما يجب عليهم حق أداء فلا يسود بينهم شقاق ولا تقوم للخلاف فيهم قائمة. كذلك لا يكون للحسد والأحقاد عليهم سلطان فيتنافسون في حب الشهرة ويتسابقون في ميدان المطامع الشريفة ويبتعدون عن الشهوات المؤدية إلى فساد أمورهم وانحلال رابطتهم وانفصام عروتهم. وكذلك إذ كانوا جيشاً فهيهات أن يملكهم العدو أو ينال منهم إربا لما بينهم من التضامن القوي فلا يستطيع واحد أن يفر من الردى أو يستسلم للعدو لأن خجله من صحبه أشد عليه وأقسى من ضرب السيوف ورشق السهام ولا يعذب الموت إلا في الحب فيود أحدهم لو يموت ألف مرة وذلك أفضل لديه من الفرار تاركاً وراءه أحبابه يجرعون كؤوس الموت الزؤام. وليس في الورى شخص مهما كان وضيعاً لا يوحي إليه الحب أسرار الفضيلة وقد يسمو بهذا الوحي لدرجة من ركزت الفضيلة في طبيعته وقد قال هوميروس إن الإله ينفخ في أرواح بعض الأبطال ويهبهم من لدنه قوة كذلك الحب ينفخ في قلوب المحبين من روحه وليست

تلك النعمة قاصرة على الرجال بل تتعداهم إلى النساء اللائي يحببن فقد تفدى المرأة المحبة محبوبها بنفسها وخير مثال لتفاني المرأة التي نفخ الحب في قلبها من روحه السستيس بنت بلياس فقد بذلت نفسها فداء زوجها وقد بلغ حبها إياه مبلغاً لم يبلغه حب الوالدين والأهل والأقارب فكانوا حياله كالأجانب الغرباء وكأن لا رابطة بينهم وبينه إلا الاسم والكنية فأعجب الناس بذلك الحب العظيم وأعجب به كذلك الآلهة أنفسهم فأنقذوا نفس السستيس من العذاب الأليم فدل ذلك على تقدير الأرباب عواطف الحب والإخلاص قدرها.

أما ارفيوس بن اياجرس فقد عاد من الجحيم بصفقة المغبون لأن الآلهة لم يظهروا له سوى شبح التي جاء من أجلها لأنهم اعتبروه أقل اخلاصاً من السستيس التي لم تحجم عن الموت واستهانت بعذاب الجحيم في جنب اتصال نفسها بنفس زوجها أما ارفيوس فقد جبن وأحجم عن الموت وطلب إلى الأرباب أن ينزلوه إلى الجحيم حياً فكان عقابه على جبنه وضعف إخلاصه أن الآلهة قضوا عليه بأن يموت قتلاً بأيدي النساء.

وأما ما حدث لأخيل فهو أن الآلهة أسكنوه دار النعيم جزاء شجاعته وإخلاصه في صداقته فقد نبأته أمه أن أجله معلق بأجل هيكتور فإن قتل هيكتور تبعه آخيل ولو أن آخيل لم يقتل هيكتور طال عمره ومات شيخاً ومع علم آخيل بدنو أجله وصدق ذلك النبأ العظيم فقد راقه الموت بقتل هيكتور انتقاماً لصديقه باتروكلس وغيره على شرفه فمجد اليونان ذلك الإخلاص وتلك الصداقة في شخص آخيل لأنه فضل صديقه على كل شيء وقد جزى الآلهة آخيل جزاء أعظم من جزائهم السستيس لأنهم أسكنوه دار النعيم.

لاجل هذا قلت إن الحب هو أقدم الأرباب وأفضلهم وأقدرهم على منح الفضيلة والسعادة لبني الإنسان أحياء وأمواتاً.

هذا ما رواه أريسطو ديمس من حديث فيدروس وقد تكلم بعده غيره حتى جاءت نوبة نوسانياس قال

(بوسانياس) _إننا لو قصرنا بحثنا على التسبيح بمجد الحب وذكر محاسنه لكان ميدان البحث محدوداً ومجال القول ضيقاً ولو كان الحب نوعاً واحداً لكان لنا عذر في قصر بحثنا على مدحه ولكن حيث إن الحب أنواع متعددة فسأقصر قولي على تميز الحب الجدير بالمدح عن غيره حتى إذا ميزته أثنيت عليه بما في وسعي وامتدحته جهدي. نعلم جميعاً ان الزهرة لا تعيش بغير حب فلو كانت الزهرة واحدة لكان الحب واحداً غير متعدد ولكن الزهرة زهرتان لا زهرة واحدة والحب كذلك حبان لا حب مفردا أما أولى الزهرتين وكبراهما فهي اورانيان وهي بنت اورانوس البكر ولم تلدها والدة والأخرى صغرى الزهرتين وهي بنت المشتري وديون واسمها باندميان لأجل

هذا كان لكل زهرة من تينك الزهرتين (اورانيان وباندميان) حب خاص بها فحب الأولى لا يتخلى عنها وحب الثانية يلازمها على الدوام. وغني عن البيان أن سائر الأرباب خليقة بالمدح والثناء ولكن لكل رب صفات تميزه عن غيره وقد يعلو قدر البعض على البعض وتعلمون أن كل فعل من الأفعال على الإطلاق هو مجرد بطبيعته عن صفتي الخير والشر فنحن الساعة في شرب وطرب وسمر وليس في شيء مما ذكرت صفة تقصيه عن الخير أو تدنيه إلى الشر ولكن الحال التي نشرب عليها أو نطرب بها هي وحدها التي تصبغ الشراب والطرب بصبغة الخير أو ضده. فما نحسن صنعه بقطع النظر عن طبيعته يعد خيراً وما نسيء فعله بقطع النظر عن طبعه يعد شراً. لذلك ليست سائر أنواع الحب كلها جميلة أو جديرة بالثناء إنما سيد أنواع الحب هو الذي لا نهون به بل يزيدنا عزاً وسؤددا. فالحب الملازم لزهرة بانديموس هو الحب الذي تعرفه العامة وتهيم به كالبهم لما فيه من الشهوات الدنيئة وهذا النوع خصيص بالطبقات النازلة من البشر. وعبّاد هذا الإله يعشقون الأبدان ولا يأبهون للنفوس ويفضلون الجهل على العلم ويستهينون بالشرف والجمال ولا يعملون إلا لإطفاء نيران شهوات الجسد وهذا الحب مشتق من الآلهة الصغرى التي تجمع في طبيعتها بين الذكر والأنثى أما الحب الملازم لزهرة أورانوس التي لا تجمع في طبيعتها بين النقيضين هو الحب المذكر الذي يوحي الإخلاص والنقاء ويربأ بنا عن مواطن الاندفاع فيما تسوء عاقبته من الشهوات والفساد. وعباد هذه الآلهة يعشقون القوة والجمال في العقل والجسم ويمكن تميزهم عن غيرهم في إبان صباهم بتعشقهم أصحاب العقول الناضجة والنفوس الصحيحة وأمثال هؤلاء مهما طرأ عليهم في حياتهم من التغير والتقلب في الخير والشر لا يزالون على سنن عهود المودة والإخاء لا يغيرونها ولا يرضون بها بديلاً ولا ينبغي لأحد أن يتعشق الأحداث لأنه يستحيل عليه أن يتكهن بما يكون لهم في مستقبل أيامهم من قوة العقل وضعفه وسمو المدارك وانحطاطها خاصة وأن هذا الحب الطاهر اشرف وأرقى من أن يوضع في مواضع الشك والارتياب والأخيار يضعون لأنفسهم حدوداً لا يتعدونها في تلك الحال أما الأشرار فلا بد من إخضاعهم لتلك القوانين التي يخضع لها الأخيار أرادوا أم لم يريدوا لأن من فعالهم المنكرة وطباعهم المذمومة ما يدعو البعض من الواقفين على عيوبهم وقبائحهم إلى القول بأن القيام على مسرات من نحب وخدمتهم هو من العار بمكان مع أن من يقوم على مسرات محبوبه وخدمته حسبما تقتضيه القوانين المقبولة والعادات المستحسنة لا يكون عرضة للوم مطلقاً.

إن الحكومات المستبدة الظالمة التي يعيش في ظلالها الوحشيون من البربر وغيرهم تحرم الصداقات بينهم وتمنعهم تعليم الحكمة وتعيب عليهم رياضة الأبدان لأن كلا من تلك الخلال الثلاث يدعو إلى الألفة والمودة بين الرعية وفي تينك النعمتين من

اتحاد المحكومين وقوتهم ما يخشى عواقبه الحكام الظالمون وحقيقة الأمر هي أن الحب وحده هو مسبب الألفة وموحد القوة وقد انفصمت عروة الظلم وانفرجت أزمة الاستبداد بفضل الحب الذي نبت ونما في قلبي هارموديوس وصاحبه اريستوجيتون ولا ريب في أن الجمعية التي تعتبر فيها خدمة الأصدقاء والسعي في نفع الأحباب عاراً أو مذمة يستدل بتلك الحال فيها على فساد نية المقننين واندفاع الحاكمين في تيار المظالم والمطامع الدنيئة ولا يكون هذا إلا إذا كان المحكومون من الجبن والضعف والاستكانة بمكان عظيم، كذلك الجمعية التي تعتبر فيها خدمة الأصدقاء والسعي في نفع الأحباب أمراً عادياً لا واجباً عظيماً تحتمه مكارم الأخلاق وتقضيه الألفة يستدل بتلك الحال فيها على قربها من كمال الأخلاق وإن كانت لا تزال بعيدة عنه ويستدل كذلك بها على عجز الحكام والمتشرعين الذين وضعوا القوانين وسنوا السنن عن بلوغ الغاية التي يستلزمها الود الصحيح والمحبة الصادقة.

وغني عن البيان أن أشرف الحب ما كان جهراً لا سراً خصوصاً لأصحاب النفوس القوية والعواطف المشتعلة وأشرف أنواع الحب ما كان لأجل الفضيلة وكمال النفس لا حسن الوجه وجمال الجسم والحب الشريف يقتضي أن يحرص المحب على المحبوب ويرعاه ليبقى أبداً طاهر النفس نقي القلب مملوءاً بالفضيلة ومما يقتضيه شرف الحب أن نسعى جهدنا في نيل رضى المحبوب ومحبته وقد عاب الفلاسفة من يحب ويغفل ذلك ولتسهيل بلوغ هذه الغاية أباح العرف للعاشق أن يستعطف معشوقه بوسائل عجيبة لا تخطر بالبال لو استخدمها الإنسان في غير استعطاف محبوبه عرض نفسه لأقسى تأنيب واشد ذم فلو أن شحيحاً محباً للمال صرف عمره في جمعه وتكويمه أو طموحاً ميالاً للحصول على القوة والنفوذ سعى أحدهما إلى بلوغ غايته بالاستعطاف والتذلل والغلظ في القسم كما يغلظ المحبون والرقاد على الأعتاب وتقديم ذاته للعبودية التي لا يطيقها أدنى الرقيق فإنه لا شك يبعد ويحرم من نيل غايته بأعدائه وأصحابه فإن أعداءه يذمونه لتمليقه وأحبابه يلومونه ويتحملون عنه ما يلصق به من العيب ولكن إذا كان عاشق يفعل تلك الفعال فانه يكون منه مقبولاً ولا يخشى على كرامته وشرفه ويقال إن الأرباب تصفح عن العاشق إذا حنث في يمينه. ولو أنه أقسم بالزهرة. وذلك كما صرحت قوانيننا فإن الأرباب والبشر تمنح العاشق أعظم ما يمكن من العفو والرحمة.

إن المسألة على ظني هي كما قلت سابقاً فالحب لا يمكن أن يعتبر بذاته شريفاً أو غير شريف فإذا كانت طريقه شريفة فهو شريف وان كانت الطريق غير شريفة كان الحب كذلك. لأنه مما يحط من القدر خدمة الأدنياء كما أن خدمة الشرفاء تعلي القدر. فالعاشق البنديمي الذي يحب البدن ويفضله على النفس لا قدر له ولا ثبات له ولا بقاء لحبه لأنه وقف حبه على الشيء الزائل. لأنه إذا ذوت زهرة الشكل التي

كانت غاية حبه فإنه يتصرف ولا يعود غير مربوط بعهد ولا ميثاق غير خجل من الخلف في وعوده. أما محب الخلال الفاضلة فإنه يثبت مدى الحياة لأنه وضع نفسه بانسجام ورغبة مع الشيء الثابت الذي لا يتحول. هذان النوعان من الأشخاص ينبغي التمييز بينهما باحتراس فنعاشر الواحد ونخدمه ونبتعد عن الآخر ونذمه.

وكذلك يعدون من قلة الشرف الوقوع في الحب مباشرة لئلا لا يكون الوقت كافياً للتحقق من حقيقة المحبوب والتأكد من خلقه كذلك من المخل بالشرف أن يجذب الشخص بالمال والقوة أو أن يخشى السب فيترك الحب.

إن لنا رأياً متعلقاً بالعشاق مؤداه أنه لا يكون من الذل أو المخجل أن يقوم العاشق بأنواع الخدمة وأن يذل لأجل المعشوق ورأينا في ذلك كرأي من يقاسي الألم والهوان لأجل الفضيلة. كذلك نحن لا نعتبر ذلاً أو هوانا خضوع الرجل ليتعلم العلم أو ليتصف بالفضائل كذلك نحن نعتبر مذلة العاشق مفخرة لأن غايتها كغاية الذل في سبيل الفضيلة إذا كان العشق يعتبر شيئاً جميلاً. لأنه عندما يبلغ العاشق والمعشوق نقطة واحدة تتميز حال كل واحد منهما فالأول يقدر أن ينمي عقل صاحبه ويساعده على كسب الفضائل والثاني لا يزال طالباً للعلم والنور فباجتماع هذه الشروط دون سواها ينبغي للمعشوق أن يعطى حبه للعاشق. ففي هذه المذلة لا يوجد عار حتى إذا خدعنا وهزمنا في الحصول على غايتنا مع أن كل هزيمة في غير ذلك تعد عاراً سواء كنا مخدوعين أو غير مخدوعين.

وعلى هذه القاعدة إذا تطلب احدنا صداقة آخر اعتقاداً منه أنه فاضل رغبة منه أن يصير بقربه كذلك فاضلاً مثله ثم يكشف له أنه كان مخدوعاً لأن صاحبه لا قدر له ومجرد عن الفضيلة فإن مثل هذه الخديعة يعد من الشرف. لأن هذا الطالب وضع نفسه موضع الذل فهو يتحمل أي ألم ليكون فاضلاً وحكيماً وهذه حال من حالات النفس الجميلة السامية

هذا هو الحب الذي يعبد إله أرانيا وهو أوراني النوع وهو أصل أنواع الخيرات للحكومة وللأفراد وبتأثيره يصير العشاق فضلاء وعدا هذا من أنواع الحب الأخرى فهي من عباد فينوس بانديموس. هذا هو ما أردت أن أقوله عن الحب دون استعداد يا فيدريوس ثم سكت بوسانياس.

(اريسطو ديمس لرفيقه) ثم جاء دور اريستوفانوس ولكن يظهر أنه كان مصاباً بسعال يعوقه عن الكلام فالتفت إلى اريكسماكوس الطبيب الذي كان مضطجعاً بجانبه وقال له يا اريكسماكوس من العدل أن تعالج سعالي أو تتكلم مكاني إلى أن يزول فقال اريكسماكوس سأفعل الأمرين جميعاً فأتكلم في دورك حتى إذا خف سعالك وجاء

دوري أتكلم. وطريق العلاج هي أن تكتم التنفس قليلاً فإذا لم يزل فتمضمض بقليل ماء فإذا لم يزل فخذ منبهاً للخياشيم فتعطس وافعل هذا مرة أو مرتين فيزول السعال مهما كان قوياً فقال اريسطو فانوس سأتبع نصيحتك أثناء كلامك. ثم بدأ

(اريككسماكوس) _حيث إن بوسانياس بدأ خطابه ببراعة ولكنه لم يفه حقه ولم يحسن ختامه فسأكمله واملأ الفراغ الذي تركه لقد أحسن في تعريف الحب بقوله أنه ذو طبيعتين. فقد علمني علم الطب الذي انقطعت له أن الحب الذي يدفعنا نحو ذوى الجمال ليس موجوداً في نفوس الناس فقط بل في سائر المخلوقات فما أقوى وأعجب هذا الإله السائد على الأرباب والبشر! ولتشريف حرفتي سأبدأ بسرد أدلة من الطب. إن طبيعة البدن تحتوي على هذين النوعين من الحب لأن السليم والمريض من أعضاء البدن لا يستويان وحب البدن السليم غير حب السقيم ومن الشرف تمجيد الأجزاء الطيبة السليمة في الجسم وفي هذا مهارة الطبيب وعلم الطب قائم على معرفة أماكن علاقات الحب في الجسم الإنساني والحكيم الحاذق هو الذي يستطيع وضع الحب حيث لا يوجد وطرده من حيث يوجد دون حاجة إليه وعليه كذلك أن يبدل تنافر العناصر في البدن بشوق فان أشد العناصر معاداة لبعضه البعض هو ما كان مختلفاً على خط مستقيم مثل الحرارة والبرد والمرارة والحلاوة واليبوسة والرطوبة. وقد روى لنا الشعراء أن ايسكاليبوس والد الأطباء الأعلى قد كون الطب بعد أن عرف سر التوفيق بين العناصر المختلفة.

إن الرياضة البدنية والزراعة والطب كلها سائرة تحت نفوذ الحب وبفضله وكذلك الموسيقى وهذا الذي أراده هيراقليطس بقوله "واحد مخالف لذاته في الظاهر إلا أنه متفق مع ذاته كانسجام العود والوتر" إنه من الخطأ المحض القول بإن الانسجام يختلف أو إنه يوجد بين أجسام مختلفة ولكن ربما أراد هيراقليطس أن الأصوات التي كانت تختلف في أول الأمر مثل الحاد والثقيل ثم اتفقت بعد ذلك فنتج الانسجام طبقاً لفن الموسيقى لأنه لا يمكن صدور الانسجام عن الحاد والثقيل إذا اختلفا. والانسجام هو التوافق والتوافق هو الالتئام والاتحاد والاتحاد لا يمكن أن يوجد بين الأمور المختلفة ما دامت مختلفة فلا يوجد إذن انسجام بين الأشياء غير الملتئمة. إن الأوزان في التوقيع تنتج عن السريع والبطيء فانهما يفترقان أولاً ثم يعارضان بعضهما ثم يتم الاتحاد بينهما وهكذا علم الطب والموسيقي فانهما يوجدان وفاقاً بين الأشياء فينتج عنهما الحب والاتحاد بين الأشياء المتخالفة.

فغاية الموسيقي إذن معرفة ما يتعلق بالحب في الانسجام والنظام وفي نظام

الانسجام والوزن يسهل تمييزالحب والحب المزدوج لا يمكن تمييزه في الموسيقى ولكن ينبغي استعماله في خدمة البشر بواسطة النظام والانسجام وهذا ما يسمى بالشعر وتأليف الأنغام أو باستعمال الأغاني والأوزان والأصوات الموجودة استعمالاً صحيحاً وهذا ما يسمى بالترتيب فيمكن تمييز كل واحد من هذه بفضل حذق المتفنن. والحب الفاضل ينبغي تكريمه وحفظه مراعاة لجانب أهل الفضيلة ولأجل أن تتحسن طبيعة الأشرار بروحه. هذا هو الحب الأراني الجميل العابد لوحي أران. أما الحب البنديمي فهو عابد بوليهمينا الذي يجوز أن نخضع له للحصول على اللذة دون الانغماس فيه كما يجوز بناء على حرفة الطب أن نتمتع بملاذ المائدة دون أن نعرض أنفسنا للعلل. ففي الموسيقى والطب وفي غيرهما من شؤون البشر والأرباب ينبغي تمييز هذين النوعين من الحب فإن فصول السنة كذلك مؤلفة طبقاً لهذه القاعدة. لأنه كلما امتزجت الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة بالحب الطاهر واختلطت بانسجام بالفصول فإنها تجلب النضج والصحة للبشر ولسائر أنواع الحيوان والنبات فإذا ساد الحب الخبيث على فصول السنة ساد الخراب وعم التلف فينتشر الوباء وتصاب الكائنات بأنواع الأمراض والسقام ويتلف القمح وتسقط الندوة وتهلك الثمار وهذا ناشئ عن الحب المضطرب الذي يجذب فصول السنة بعضها نحو بعض وحركات هذه الفصول وعلم الكواكب اسمها علم الهيأة. ان كل التضحيات والأشياء التي يوجد فيها التخمين (لأن هذه الأشياء هي الرابطة بين الله والناس) ليست إلا علم الاحتفاظ بالحب وتنظيمه لأن الكفر يظهر إذا لم يعبد الناس الحب الطاهر ولم يخدموه بالأعمال الصالحة. فغاية التخمين هي التمييز بين هذين النوعين من الحب وإصلاح آثار كل منهما فالتخمين هو سبب الصداقة بين الأرباب والناس وهكذا كل نوع من الحب يملك قوة عظيمة واسعة لا حد لها ولكن الحب الذي يحث على اكتساب غايته بالفضيلة والحكمة يملك الملك الأوسع ويعيد لعابديه أعظم السعادات من طريق الشفقة المتبادلة بينهم ومن طريق الخير الذي تستمطره عليهم من الأرباب.

يجوز انني نسيت أشياء كثيرة في ثنائي على الحب ولكن هذا شأنك يا اريسطو فانوس وعليك أن تملأ الفراغ الذي تركته أو تقول قولاً آخر لتكريم الرب لأن سعالك قد زال.

(اريسطو فانوس))_بعد ممازحة وجيزة) أردت أن يكون مقالي مخالفاً لما قال بوسيانوس واريكماكوس يظهر لي أن البشر لم يفقهوا إلى الآن معنى قوة الحب فلو فقهوا لملؤوا الأرض معابد وهياكل يقدسون ذكره فيها ويقدمون له الضحايا ويقيمون

له أجل وافخم الرسوم والشعائر لأن الحب هو أحق الأرباب بالعبادة ولما يعبد. وهو أصدق الأرباب للبشر وهو آسى الجراح التي يكون علاجها أعظم سعادة لبنى الإنسان وسأحاول أن اشرح لكم قوة الحب الحقيقية ويمكنكم أن تنقلوا هذا القول عني لغيركم.

ينبغي لكم أولاً أن تعرفوا طبيعة الإنسان والحوادث التي مرت عليه. لان طبيعته كانت في قديم الزمان مخالفة لما هي عليه الآن. ففي بداية الأمر لم يكن النوع مقسماً إلى جنسي الذكر والأنثى بل كان جنس ثالث مشتركاً بينهما ولا يزال اسمه موجوداً وإن كان الجنس ذاته قد فني وكان هذا الجنس المشترك أو الخنثى يشبه في شكله المرأة والرجل معاً وفي العهد الذي أشير إليه كان شكل الإنسان مستديراً وكان الظهر والجانبان ملتصقين باستدارة ولكل جزء أربعة أذرع وأربعة أرجل ووجهان مركبان على عنق مستدير وأربعة آذان مع كل ما يمكن قياسه على هذا النظام وكان هذا الجنس البشري يسير مستقيماً في أية جهة شاء وكان إذا أراد الإسراع يستعمل أيديه وأرجله ويتحرك حركة دورية سريعة أما سبب وجود هذه الأجناس الثلاثة فراجع إلى أن الذكر جاء من الشمس والأنثى من الأرض وهذا الجنس الثالث من القمر والقمر جرم له طبيعة مخنثة لذا كان مستديراً مشابهة للقمر. وكان هذا النوع قوياً مملوءاً بالأفكار السامية وأفراده أول من حارب الأرباب وما رواه هوميروس عن افيلاتوس واوتس من أنها حاولت الصعود إلى السماء لخلع الأرباب وإنزالها عن عروشها كان لا شك متعلقاً بهذا النوع. وقد تشاور جوبيتر ومن معه من الأرباب فيما ينبغي عمله في مثل هذه الأزمة لأن الأرباب لم تكن تريد إهلاك هذا النوع لئلا تحرم من الضحايا التي كانت يقدمها ولم تكن كذلك لتصبر على وقاحتهم وتعنتهم وكفرهم فطلب المشتري أن يسود السكون ليتكلم ثم قال : _أظنني وجدت طريقة لإضعاف الجنس البشري وتقليل وقاحته دون أن نشرع في هلاكهم فسأشق كل واحد منهم نصفين وبذا يضعفون جميعاً ولكن يبقى نفعهم لكثرة عددهم وسيسير كل واحد منهم على قدميه مستقيماً فإذا أظهروا وقاحة بعد ذلك فسأشق كل واحد نصفين فيسير كل رجل واحدة وقد ألحق القول بالفعل وشق كل إنسان شقين كما يشق بعض الناس البيضة بشعرة. ثم طلب إلى ابولون أن يأخذ كل واحد ويديره اثنا عملية الشق نحوها ليراها ويعتبر ويخضع ثم يعالجه فكان أبولون يدير الوجه ويسحب الجلد على ما نسميه الآن بطنا ثم يربطه من الوسط وهذا ما يسمى بالسرة ثم أنه أخذ في معالجة الصدر بأداة تشبه الأداة التي يصلح بها صناع الأحذية الجلد. ثم ترك بعض الثنايا

في البطن لتدل على ذلك التاريخ القديم وبعد تلك العملية كان كل نصف يريد الاتصال بنصفه الآخر فيلقي أحدهم بذراعيه حول النصف الآخر مؤملا أن يعودوا إلى ما كان عليه ثم أنهم عزموا على أن تعتصب الأنصاف فلا تقوم بفعل ما دون النصف الآخر فماتوا جوعاً وضعفاً. فكان الذي يبقى بعد نصفه الآخر يضمه إلى صدره ان كان امرأة أو رجلاً ويبقي هكذا إلى أن يلحق به فلما رأى المشتري ذلك أشفق عليهم وفكر في حيلة أخرى وهي التي ينتج منها النسل بعد انضمام الرجل للمرأة ومن هذا التاريخ وجد الحب المتبادل بين أفراد النوع وهو الموفق بين طبائعهم الأصلية الذي غايته جعل الاثنين واحداً وتخفيف هول المصاب على الأنصاف المنشقة. فكل واحد منا هو نصف ناقص لواحد كامل وغاية كل منا هي البحث عن نصفنا الآخر[1] فالشخص الذي وصفته يكون على الدوام محباً صادقاً وصديقاً مخلصاً فرحاً بما يوافق طبيعته فعند ما يلتقي هذان النصفان فيرتبطان برابطة الحب السابق وبرابطة الحب والرغبة وحاجة الاجتماع لا يريد أن ينفصل أحدهما عن الآخر ولو لحظة هؤلاء هم الذين يعطي كل واحد منهم حياته للآخر بشوق ولوعة لا طائل تحتها للحصول على شيء لا يفهمونه لأنه ليس فقط حرصهم الحسي باختلاطهم الذي من أجله يهب كل واحد منهم ذاته للآخر إنما نفس كل واحد منهما تظمأ لشيء في الآخر لا يمكن التعبير عنه وتبقى النفس في حيرة بما تطلب وتسود الدنيا في وجهها من شدة ألمها. فإذا قال فولكان لهؤلاء الأشخاص المحبين: يا أيها الناس ماذا يطلب أحدكم من الآخر؟ فإذا ارتج عليهم فقال لهم ألا تطلبون أشد اتحاد وانفراد بينكم حتى لا يمكن فصلكم بعد ذلك مطلقاً. إذا كان الأمر كذلك فسأذيبكم جميعاً وأعيدكم أفراداً لا يفصلكم فاصل فهل هذا يرضيكم ونحن نعلم أنه لا يأبى عليه ذلك أحد بل يعتقد كل أن هذا هو ما كان يتطلب وهو أن يمتزج الواحد بالآخر ويذوب معه ليعودوا إلى ما كانا عليه وسبب هذه الرغبة أننا كنا في بداية الأمر واحداً فنحن نحب العودة إلى الاتحاد. لأن انشقاقنا قد أضعفنا فعرانا الاضمحلال كما حدث للارقاديان بواسطة اللاسيدومينان. على اننا لا نزال نخشى عاقبة تمردنا من جديد فنشق نصفين ونبقى كالصور المرسومة علي العمدان فينبغي لنا أن نخلص في عبادة الأرباب والتوسل إليها لننجو من عقابها ونحصل على الأشياء التي يحثنا الحب أميرنا وسيدنا على الرغبة فيها، فإن إغضاب الآلهة يعد عصياناً لأوامره لأننا إذا حسن سلوكنا نحوها فقد يكشف لنا عن أنصافنا التي نلتمسها ولا نجدها، وهذا حظ يقع الآن للنادرين منا.

فأنا أؤكد أن سعادة الجميع رجالاً وإناثا كائنة في إتمام غاية الحب، وفي امتلاك كل منا محبوبه وبذا يمكن أن نعود نوعا لطبيعتنا القديمة، فإذا كان في هذا غاية السعادة فأقرب شيء للسعادة امتلاك الذين توافق طبائعهم وغرائزهم طبائعنا أكثر موافقة والاجتماع بهم.

وإذا أردنا أن نمجد إلهاً بصفته خالق هذه السعادة فلابد من تمجيد الحب بأغاني الفرح، لأنه في حالنا الحاضرة يعضدنا ويساعدنا لدى الضيق، ويعطينا أمالاً كبرى في أن يعيدنا سيرتنا الأولى إذا استمررنا على التقى نحو الآلهة، ويمنينا بأن يهبنا السعادة التامة التي لا يلائم طبائعنا سواها.

هذه يا اريكسماكوس ختام خطابي على الحب"

ثم تلت مجادلة فكاهية بين سقراط واجاثون وفيدروس، ثم تكلم الثاني بحسب دوره قال:

(أجاثون) _إن الذين سبقوني قد أثنوا على الحب ثناء عظيما، هنؤوا البشر على ما منحهم إياه هذا الرب من أنواع العطايا والسعادات ولكن لم يقل لنا أحد شيئاً عن حقيقة هذا الرب الذي سبب كل تلك النعم فينبغي أن نعلم أولاً ما هي المنح والعطايا التي أعطاها ذاك الإله، ثم نعرف حقيقة الرب ذاته.. ينبغي أولاً حمد الحب ثم ذكر عطاياه. فأقول إنه ولو أن الآلهة كلها سعيدة سعادة أبدية إلا أن الحب إذا ساعدني صوتي على التصريح بتلك الحقيقة الكبرى أسعد الأرباب وأفخرها وأجملها. أما كونه أجملها فلأنه أصباها وأسرعها زوالاً وأنفرها من كل عتيق. وقال المثل القديم "شبيه الشيء منجذب إليه" وهو ينطبق على ارتباط الحب بالشباب وأقول إن الحب ليس أصبى الأرباب فقط بل صباه أبدي.

أما الحوادث التي وقعت بين الأرباب ورواها هسيود وبارمينيدس إن صحت فلم يكن الحب داعياً إليها إنما الضرورة، لأنه لو كان الحب حينئذ في السماء لما حدثت تلك الجرائم الفظيعة الدموية بل لساد العطف والسلام اللذان يعيش فيهما الآلهة الآن تحت تأثير الحب إذ أن الحب صبي فهو لين رقيق وكنا نحتاج إلى شاعر مثل هوميروس ليصف لنا رقة الحب ولطفه فقد قال ذلك الشاعر إن إلهة النكبات رقيقة وأقدامها وكذلك لينة هينة لأنها لا تسير على الأرض بل على رؤوس الرجال، ويدلل على لين أقدامها بقوله أنها تسير على ما هو لين ومثل هذا البرهان كاف لإثبات بين

١- يقول الرجل الإنكليزي عن امرأته انها Hisbetterhalf اي افضل نصفية .

الحب ورقته لأن الحب لا يسير على الأرض ولا على رؤوس الرجال وما هي باللينة ولكنه يسكن ثنايا الأحشاء ويسير على ألين الأشياء وقد جعل مقر ملكه نفوس الأرباب وقلوب البشر وهو لا يأوي إلى كل النفوس. لأنه إذا رأى طبيعة جافة أو نفساً خشنة فأنه ينفر منها ويبتعد عنها ولا يألف إلا النفوس اللينة الرقيقة فلهذا كان أرق الأشياء لأنه يلمس بخفة بأقدامه الرخصة ألطف جزء من أرق الأشياء وألطفها.

فهو إذن أصبى الأرباب وألطفها وأكثرها ليناً وسيولة ولو كان غير ذلك ما أمكنه أن يلتف حول كل شيء ويفيض في كل نفس فالسيولة والفيضان من طبيعته المنتظمة لأنه يعادي كل ما كان مشوها. ويقضي حياته بين الزهور وهذا سبب لين جلده وجماله لأنه لا يطوف إلا بالنفوس التي لا يزال عطر زهورها عابقاً هذا فيما يتعلق بجمال الحب فلنتكلم الآن عن قوته وفضيلته: إن أحسن صفاته أنه لا يسبب الأذى ولا يحتمله في علاقته بالأرباب والناس. وإذا تألم من شيء فليس سبب ألمه الشدة أو القسوة كذلك هو لا يفعل شيئاً فيه قسوة أو شدة لأن كل إنسان يفعل ما يأمره الحب بمحض إرادته وهذا تبيحه القوانين التي هي ملوك الجمهورية.

وفضلاً عن العدل فإن الحب في غاية الاعتدال لأنه إذا كان الاعتدال كون المتصف به يترفع عن الملاذ والشهوات ويقدر على الضغط عليها فالحب الذي لا يوجد سرور أشد منه يعد أحلى وأمتع الملاذ ولذا لابد أن يكون أكثر الأشياء اعتدالاً. إن المريخ لا يمكنه أن يفاخر الحب في الشجاعة والقوة لأن المالك أقوى على الدوام من المملوك والذي يغلب أقوى الأرباب لابد أن يكون أقوى منها جميعاً ولا يخفى أن حب الزهرة يمتلك المريخ

وبعد الكلام على عدل الحب واعتداله وقوته بقي الكلام على حكمته فأقول: إن هذا الرب شاعر عاقل حتى إنه يستطيع أن يخلق شاعراً من رجل لم يكن كذلك لأن كل إنسان مهما كانت حال نفسه مضطربة قبل الحب فإنه بفضل الحب يصير شاعراً. وهذا دليل على أن الحب شاعر وماهر في هذا الفن حسب قواعد الموسيقى لأن ما لا يملكه الإنسان أو يجهله لا يستطيع أن يعطيه أو يعلمه سواه ومن ذا الذي ينكر أن الشعر الإلهي الذي يخرج سائر الأشياء الحية الموجودة على ظهر الأرض ليس منسجماً بحكمة الحب. اليس من الثابت أن الحب واضع فنون الحياة التي نعرفها ومن كان الحب معلمه يصير عظيماً وكبيراً كما أن من يجهل الحب يبق طول حياته غير ملتفت إليه خاملا. لقد اخترع ابولون الطب والتخمين والرماية مقودا إلى

ذلك بالرغبة والحب فكان ابولون تلميذ الحب وبواسطته اكتشفت "عرائس الشعر" فنون الأدب كذلك تعلم فولكان معالجة المعادن ومنرفا فن النسيج والمشتري سر السيادة التي يمارسها الآن على الأرباب والناس. وهكذا تعلمت الأرباب كل فن بفضل "حب الجميل" لأنه لا يوجد حب نحو الأشياء المشوهة.

في أصل الأشياء حدثت بين الأرباب فظائع دعت إليها الضرورة ولكن عندما ظهر هذا الرب بفضل الرغبة التي تجذب العالم دواما نحو كل جميل نزلت البركة على كل من كان في الوجود من الآلهة والبشر. يظهر لي أن الحب أجمل وأفضل الأرباب وسبب كل المفاخر المركبة في طبيعته. أن الحب هو الرب الذي يخلق السلام بين الرجال، والهدوء في البحر، وسكون العواصف، والراحة والنوم لدى الحزن. الحب يجردنا من البغض ويملأ قلوبنا الخالية بالعطف وهو الذي تجمعنا في الأعياد والأفراح والمراقص والولائم. إن الحب يمطر الخير والوداعة على الأرض وتفر من وجهه سائر الميول الخشنة وتهلك وهو موجود سائر أنواع المودة ومهلك الأفكار الرديئة وهو الرحيم الوديع موضع إعجاب العقلاء ومسرة الأرباب يملكه السعداء ويشتهيه الأشقياء الذين شقوا لأنهم لا يملكونه، والد الأمان والرقة واللين والفرح والرغبة وبه يعتز كل ما كان خيراً ويهلك كل أمر شيء وهو أفخر مرشد لنا وأحسن مدافع عنا والمحافظ علينا في تعبنا وخوفنا في شهواتنا وفي تعلقنا، زينة كل شيء وحاكم كل شيء رباني وإنساني وينبغي لكل إنسان أن يقتفي أثره مرتلاً ثناءه آخذاً بنصيبه في الانسجام الإلهي الذي ينشده الحب طرباً بالأشياء الحيه الموجودة ومهدئا العقول المتعبة لدى الأرباب والناس.

هذا ما أرادت أن أقول في الثناء على الرب.

وبعد مناقشة قصيرة بين سقراط وأريكسماكوس وفيدورس بدأ سقراط العظيم خطابه فقال:

(سقراط) _أثني يا اجاثون الحبيب على بداية مقالك حيث ذكرت أنه يجب أن نعرف أولا طبيعة الحب ثم نعرف أعماله وهذا نظام أوافق عليه وحيث انك أسمعتنا مقالاً جميلاً بليغاً عن الحب فإنك لا ريب قادر على أن تجيبنا على هذا السؤال وهو هل الحب هو حب شيء أو حب لا شيء فقال اجاثون انه طبعاً حب شيء ... قال سقراط اذكر لي هل الحب يشتهي الشيء الذي هو موضعه قال اجاثون لاشك أنه يشتهيه سأل سقراط فإذا كان يملك الذي يشتهيه فهل يحبه . قال اجاثون أظن يشتهيه ويحبه إذا كان لا يملكه . قال سقراط: لاحظ إذن أن الرغبة تشتهي ما تطلب

ولا تملك ولا تشتهي إلا ما تطلب .فهل يريد من صار شهيرا أن يصير شهيرا من جديد وهل يريد القوي أن يكون قوياً فإذا شاء الصحيح أن يكون صحيحا والقوي أن يكون قوياً ينتج من هذا اتهما لا يزالان يشتهيان منافع أمور يمتلكانها فلو فرضنا أن شخصا يملك تلك المنافع فهل يمكن أن تكون هي غاية رغبتة ولو أن شخصا غنيا يقول أريد أن أكون غنيا فلتقل له إنك غني ولا معنى لطلب ما هو لك وإنما يمكنك أن تطلب استمرار تلك الحال وينتج من هذا أنك عندما تشتهي شيئاً تملكه إنما تريد بذلك دوام الامتلاك . أليس الحب حينئذ هو حب ما ليس في وسعنا الحصول عليه كذلك حب مالا يمكن استبقاؤه في المستقبل وإن كنا حاصلين عليه في الحال . فالحب وكل شيء يشتهي شيئا أخر إنما يشتهي ما هو غائب وبعيد عنه أي الشيء الذي ليس له ولا يخفي أن الشيء الذي يشتهي شيئا آخر لابد أن يكون مغايراً له. هذه هي الأشياء التي تحب وتشتهى. إن الحب يحب ما يشتهي ولكن لا يمتلكه فالحب يطلب ولا يمتلك الجمال فهل يسمى جميلا ما يتطلب الجمال ولا يمتلكه ؟

قال اجاثون : كلا. قال سقراط إذن هل تؤكد أن الحب جميل بعد ان سلمت بكل ما سبق ؟ لقد قلت بأن كل خير يعد جميلا فقال اجاثون نعم قال سقراط فإذا كان الحب في حاجة إلى الجمال والأشياء الجميلة فهو لاشك كذلك في حاجة إلى الخير. قال اجاثون أنني لا أستطيع أن أنقضك يا سقراط . قال سقراط أنك لا تستطيع نقض الحق أما سقراط فانك تستطيع نقضه.

ثم ترك سقراط السؤال على طريقته المنطقية وقال

(سقراط) _كما قلت يا أجاثون ينبغي لنا أولا أن نتكلم عن طبيعة الحب ثم عن أعماله. قالت لي ديوتيما النبية إن الحب ليس جميلاً وليس خيراً إنما هو بين الاثنين إنه شيطان والشيطان وسط بين الرباني والإنساني فسألتها عن قوته وطبيعته فقالت إنه يفسر الأشياء الربانية والأشياء الإنسانية ويصل بينها وينقل الصلوات والتضحيات من البشر للأرباب ويوصل أوامر الصلاة والعبادة من الآلهة إلى البشر. وهو يملأ الفراغ بين هذين النوعين فيربط بقوته سائر الكون وبفضله بقي التخمين والوحي والعلم المقدس والتكفير والتنبؤ والسحر. والطبيعة الربانية لا يمكن أن تتصل مباشرة بالطبيعة البشرية فكل ما يعطيه الأرباب للناس بفضل الاختلاط والمواصلة في نومهم وفي صحوهم هو نتيجة تداخل الحب. والعارف بعلم الاتصال يعد سعيداً للغاية وله نصيب وحصة من طبيعة الشيطان ولكن من يعرف فناً أو علماً آخر يبقى طول حياته أسيراً عاديا وهؤلاء الشياطين كثيرون ومتعددون والحب أحدهم.

فسألتها من ولد الحب فقالت ديوتيما إن هذا تاريخ طويل ومع ذلك فسأشرحه لك، عندما ولدت فينوس أقام الأرباب عيداً وبين من حضروه "الوفور" ابن متيس. فبعد العشاء رأت "الحاجة" تلك الغزارة العميمة فجاءت تسأل ووقفت بجانب الباب وكان "الوفور" قد سكر من شرب الرحيق لأن النبيذ لم يكن قد اخترع بعد فخرج إلى حديقة المشتري ونام نوما عميقاً فأرادت الحاجة أن ترزق من الوفور بغلام لضعف حالها فرقدت بجانبه وأغرته فضاجعها فولدت الحب ...

فالحب هو خادم فينوس لأنه حمل فيه في عيد مولدها ولأنه بطبيعته محب لكل جميل وكانت الزهرة جميلة. ولما كان الحب هو ثمرة وصال الوفور والحاجة فحظه مثل حظ والديه فهو فقير على الدوام وبعيد عن الرقة والجمال على عكس ما يتخيله البشر بل هو قذر وممزق الثياب ويطير على مقربة من الأرض ولا مأوى له ولا حذاء ينتعله وينام بلا غطاء أمام الأبواب وفي الطرق التي لا يحميها ستار وهو في تلك الأمور كلها تابع لطبيعة أمه وهو على الدوام رفيق الفقر أما نصيبه من طبيعة أبيه فظاهر في أنه على الدوام يفكر في الحصول على الأشياء الجميلة الصالحة لا يخاف وهو شديد وقوي وفي الصيد ماهر وعلى الدوام يدبر حيلة جديدة وهو في غاية الحذر والاحتراس وغني بالأفكار والوسائل وهو طول حياته حكيم وساحر وسفسطائي. وحيث إن طبيعته ليست خالدة وليست فانية فهو في اليوم الذي يفوز فيه ويساعده الحظ يزهر ويزهو ثم يموت ثم يعود إلى الوجود كما هي طبيعة أبيه وكل ما يكسبه يفيض عنه فالحب ليس غنياً ولا فقيراً وهو في برزخ التاريخ بين العلم والجهل. إن الأرباب لا تتفلسف لأنها حكيمة والحكيم لا يتفلسف لأنه مكتف بحكمته كذلك الجاهل لا يتفلسف لأنه لا يتطلب الحكمة لحسن ظنه بنفسه. إنما أوساط الناس هم المتفلسفون كذلك الحب يتفلسف لأنه بين العلم والجهل ولأن الحكمة من أجمل الأشياء والحب يظمأ لكل جميل لذا هو محب للحكمة ولأن الحكمة في موضع وسط بين الجهل والعلم وسبب ذلك ظاهر في نسبه فهو ابن والد غني عاقل وأم فقيرة جاهلة.

قالت ديوتيما هذه هي طبيعة الحب الشيطانية يا سقراط وقد خلطت الحب بالمحبوب الذي هو وحده الجميل الرقيق اللطيف وأطلقت صفات المحبوب على الحب. قلت لها أيتها النبيه الغريبة إن في كلامك روح الإقناع فإذا كانت هذه هي طبيعة الحب فماذا يستفيد منه البشر؟ فقالت إن الحب هو حب الأشياء الجميلة. فإذا سألنا أحد لماذا كان الحب هو حب الأشياء الجميلة؟ (وبعبارة أخرى ماذا يحب العاشق في الشيء الجميل الذي يعشقه فما الجواب فقلت لها إنه يحب امتلاكه فقالت وماذا يملك

الذي يمتلك الشيء الجميل. فقلت لها لا يمكنني أن أجيب لساعتي. فقالت ولو بدلت الجميل بالخير فماذا يحب العاشق في الشيء المحبوب ذلك الذي يحب الخير. فقلت يحب امتلاكه فقالت وماذا يملك إذا امتلك الشيء الخير فقلت لها أن الجواب سهل وهو أنه يمتلك الشيء الصالح فيكون سعيداً فقالت إذن الناس تسعد بالامتلاك ومن العبث أن أسألك عما يطلب ذاك الذي يطلب السعادة لأن الجواب في السؤال ولكن هل تظن أن هذه الرغبة عامة لدى كل الناس وأن كلهم يطلبون إن يكون الشيء الخير ملكا لهم وحاضراً لديهم دوما. فقلت لها نعم إن هذه الرغبة عامة قالت إذن لماذا لا نقول يا سقراط أن كل الناس يحبون إذا كان الجميع يحبون شيئاً واحداً ولكننا نقول إن البعض يحبون والبعض لا يحبون فقلت لها نعم إنني أعجب لهذا ولا أحير جوابا.

فقالت ديوتيما لا تعجب لأننا اخترنا نوعا واحداً من الحب وأطلقنا عليه الاسم العام الشامل لكافة الأنواع. فقلت لها اضربي لي مثل تعميم اسم شيءٍ خاص قالت الشعر إنه اسم عام يدل على كل سبب يخرج بواسطته شيء من لا شيء فممارسة أية صنعة اختراعية يعد نوعاً من الشعر وكل أرباب هذه الصنائع والفنون هم شعراء ولكن لا يطلق عليهم اسم شعراء أنما يعرف كل واحد منهم باسم خاص به وقد فصل عن هذه الأنواع النوع المتعلق بالموسيقى والوزن وأطلق عليه الاسم العام للجميع ولا يطلق اسم الشعر على غيره ولا يسمى شعراء الا من يمارسونه كذلك الأمر في الحب فأن الحب بمعناه العام هو الرغبة الصادقة في امتلاك السعادة وامتلاك ما كانت صفته الخير. وهذا هو أعظم وأرقى حب يسكن قلب الإحياء. أما الذين يلتمسون هذه الغاية بواسطة اكتساب الغنى أو بممارسة فن الجمنسطيقى[1] أو الفلسفة فإن كلا منهم لا يعشقون ولا يسمون عشاقاً إنما هناك نوع واحد من العشق يطلق عليه هذا الاسم ومن يمارسون هذا النوع يسمون عشاقاً وهم الذين يلتمسون الوصول إلى الرغبة العامة بواسطة نوع واحد من الحب وهو النوع الذي يعرف بالاسم الذي يطلق على الأنواع كلها فيؤكد البعض أن العاشقين إنما يلتمسون النصف المفقود إنما أنا أؤكد أن الحب ليس حب النصف أو الكل إذا لم يلتق الحب بالخير وحيث أن الناس يقطعون أيديهم وأرجلهم برغبتهم إذا كانوا يظنون أنها مجلبة الشر عليهم. كذلك البشر لا يعززون ذاك الذي في حوزتهم لمجرد كونه في حوزتهم إلا أذا أراد البعض أن يقول إن الشيء الخير ملتصق بطبيعته وهو ملك له وإن الشيء الرديء هو غريب عنه وطارئ عليه وإنه لا يحب إلا الشيء الخير. فإذا تقرر ذلك فهل نستطيع أن نؤكد أن الناس لا يحبون ألا الخير؟ قلت بلا ريب قالت ويحبون أن يكون هذا الشيء ملكا لهم وأن

يكون دواما حاضراً لديهم. قلت نعم قالت دوتيما إذا كان هذا هو التعريف العام للحب فهل يمكنك أن تقول لي ما هي أفعال الحب وما هي الطرق التي يصل بها للحصول على غرضه؟ فقلت لها لو علمت الإجابة على هذا السؤال يا ديوتيما ما احتجت إليك ولا عجبت لحكمتك ولا طلبت سؤالك للاستفادة فقالت: إن الحب هو رغبة التناسل والتسلسل في الشيء الجميل فيما يتعلق بالنفس والجسم معاً فان كلا من النفس والجسم للإنسان يحمل في ثناياه بذور التناسل فإذا بلغ الإنسان سنا معلومة تدفعه الطبيعة لوضع هذه البذور والطبيعة لا يمكنها تلقيح المشوه ولكنها تستطيع التلقيح في الجميل. فعلاقة الذكر بالأنثى في التناسل عمل مقدس الهي مع أن الحمل والوضع عملان خالدان في الفناء. فالجمال هو القضاء الذي يقضي بالتناسل لأجل هذا كان الشيء المملوء بمادة التلقيح إذا دنا من الشيء الجميل يطير فرحاً ويفيض لذة ثم يأخذ في التلقيح والتناسل ولكنه إذا دنا من الشيء المشوه انقبض من الحزن ثم يقبض مادة اللقاح عن الشيء القبيح ولا ينتج أما الشخص المملوء بمادة اللقاح ويكاد يفيض من شدة الرغبة فيكون اندفاعه نحو الجميل قوياً جدا بسبب الألم الذي يحصل له من الامتناع عن إخراج مادة اللقاح التي يحملها. فالحب يا سقراط ليس أذن هو حب الجميل قلت لها إذن ما هو قالت حب التناسل والإنتاج في الجميل. قلت لها لماذا التناسل؟ قالت لأنه شيء خالد في الفناء. لا ينتج بالضرورة عما قلنا إننا لا نطلب الخير فقط إنما نطلب بقاءه ملكاً لنا إلى الأبد فالحب هو أذن رغبة الأبدية. ثم قالت لي ديوتيما ماذا تظن يا سقراط سبب هذا الحب وهذه الرغبة ألا ترى كيف أن أنواع حيوانات الأرض والهواء إذا أصابتها رغبة التناسل تصاب بشبه داء يدفعها أولا إلى الاختلاط الجنسي فإذا اختلطت استمرت في جهاد عنيف للحصول على غذاء لذتها ولنسلها فيحارب ضعيفها قويها بل تفضل الفناء على ترك نسلها فريسة للجوع فإذا قلنا أن البشر يفعلون هذا بعامل العقل فهل تعرف بأي دافع يفعل الحيوان هذا إذا أصابه الحب قلت لا قالت إن الطبيعة الفانية تلتمس الخلود بكل الوسائل ولا يمكن أتمام هذا إلا بالتناسل الذي يوجد فرداً جديداً مكان قديم لأن الإنسان وإن كان يظن أنه هو ذاته لا يتغير إلا أنه يتغير عدة مرات في حياته بالتغير الذي يصيب الشعر واللحم والجسم كله. وليس هذا التبديل قاصراً على جسم الإنسان بل هو أيضا يمس الروح فإن خلاله وآراءه

١- معناه بالحرف عن اليونانية رياضة البدن عاريا .

ورغباته وأحزانه ومخاوفه كلها تتبدل وبعضها يموت ولا يبقى له أثر ويتلوها غيرها والأغرب من هذا أن معرفة الإنسان ذاتها تتجدد كذلك كل شيء من أفكارنا تحدث له الثورة ذاتها. وإن ما يسمى بالتأمل أو تمرين الذاكرة إنما هو علم فرار الذاكرة أو رحيلها لأن النسيان هو خروج المعرفة والتأمل يدعو إلى الذهن ذاكرة جديدة غير التي ذهبت فيحتفظ بالمعرفة ويستبقيها فالمعرفة مهما تغير مكانها وتحولت فهي هي على الدوام وبهذه الطريقة يحتفظ بكل شيء وليس معنى هذا أنه ثابت وخالد مثل الشيء الرباني إنما هو يترك في مكان الشيء القديم الفاني شيئاً جديدا يشبهه وبهذه الوسيلة يا سقراط يكون للجسم والأشياء الأخرى نصيب في الخلود أما الشيء الخالد فخالد بمعنى آخر. فلا تندهش أذا رأيت كل شيء بطبيعته يعز بما ينتج عنه لأن هذا الحب الصادق هو تعلق بأذيال الأبدية. فقلت لها يا أيتها الحكيمة هل هذا الذي قلت صدق؟ قالت، كأنها فيلسوف مغالط، إذا نظرت إلى حب المجد وتفاني الرجال في سبيل العلا أدركت كل ما قلت لك وعلمت السر في حب الخلود وبقاء الذكر. إن من كانت أبدانهم وحدها محملة بعنصر الخلود يجذبون نحو النساء ويبحثون بواسطة إنتاج الأولاد عما يتخيلون فيه السعادة والبقاء والذكر الخالد ولكن الذين تحمل نفوسهم أكثر من أجسامهم تراهم يلدون ويضعون ما هو أكثر ملائمة للنفس وما هو الملائم للنفس؟ هو الذكاء وكل قوة أخرى من قوى العقل وكل لذة يوجدها الشعراء والمتفننون المتعلقون بفنون الاختراع والخلق وأعظم أنواع الحكمة هي التي تنظم الحكومة وحياة الأسر وهي المسماة بالعدل والاعتدال فمن يشعر منذ صباه بأن نفسه حامل بهذه المفاخر فهو رباني النفس فلما يحين الوقت يريد أن ينتج، فيهم ليبحث عن الجميل الذي يمكنه أن يضع فيه ما هو حامل. لأنه ليس هناك تناسل في المشوه فهو يضم الأجسام الجميلة طائعاً للمبدأ الذي في نفسه والذي يريد على الدوام الخلود والبقاء فإذا لقي مع جمال الشكل نفسا جميلة كريمة لطيفة فهو يضم الاثنين معا ويبدأ بتهذيب موضع حبه ثم توحى إليه رغبة شديدة في أن يصرح بما هي الفضيلة وماذا ينبغي أن يكون عليه ذاك الذي يريد امتلاكها وما هي الواجبات التي تقتضيها لأنه بمجرد اختلاطه بالشيء الجميل ولمسه يضع ما كان يحمله منذ صباه ويغذي ويهذب الذي يخرج منه مع موضع حبه الذي لا تنفصل صورته عن ذهنه في غيابه أو في حضوره ولهذا كان الذين يتحدون على هذه الصفة يكونون مرتبطين برابطة أقوى وحب أعظم لكونهم يخلفان نسلا أعز وأجمل من نسل الأزواج الآخرين. وكل من يفكر في النسل الذي تركه هوميروهسيود وغيرهما من كبار الشعراء وفي

أن هذا النسل هو مصدر ذكراهم الخالدة وشهرتهم الدائمة أو ينظر إلى بنات نفس ليكرجوس أو الى القوانين التي خلفها صولون وفي الأعمال الكبرى التي تركها العظماء في بلاد اليونان وفي بلاد البربر أثراً وعهداً للحب الذي كان بينهم وبين الجمال يفضل أن يكون والداً لمثل هؤلاء الأطفال دون الأطفال الذين يولدون في شكل إنساني لأن الشرف الإلهي والثناء الإنساني عادا عليهم من مثل هؤلاء الأطفال ولكن لم يعد عليهم شيء منهما بسبب الأولاد الآدميين.

أن الذي يتوق إلى الحب الحقيقي ينبغي له منذ صباه أن يسعى في الاتصال بالإشكال الجميلة ثم يجعل شكلا واحدا جميلا موضعا لحبه ثم يلقحه بالمفاخر العقلية ثم عليه أن يعتقد أن الجمال أينما حل هو شقيق الجمال في أي شكل آخر فإذا كان واجبه أن يتقصى أثر الجمال في الاشكال فيكون من الجهل أن لا يعلم أن الجمال هو واحد وأن تعددت الأشكال فيطفئ قليلا من جذوة تعلقه بشكل واحد ليقف حبه على سائر الاشكال ثم هو كذلك يعتبر جمال النفوس أرقى من جمال الأبدان فإذا وجد شخصا ذا نفس جميلة ولكن زهرتها ذوت فإن ذلك لا يمنعه من وقف حبه وعنايته على هذا الشخص واتخاذه رفيقا لإنتاج الأشياء الجميلة التي تحملها نفسه ثم يكون واجبه أن يهذب هذا الشخص فيبدأ بتعليمه العلم ليرى فيه جمال الحكمة وبذا يتأمل في الجمال فيخلص من ربق عبادة الجمال والحب في شكل خاص بل يلتفت بعين نفسه إلى محيط الجمال العقلي فيستخرج بجمال الاشكال التي يراها ما كان كامنا في نفسه من أفكار الحكمة فإذا قوى وأشتد يشتغل بعلم واحد وهو علم الجمال العام.

ومن تعلم وتهذب في الحب إلى هذه الدرجة بتأمله في الأشياء الجميلة بالتدريج وحسب ترتيبها الوجودي فقد حصل الآن على غاية الحب ويرى فوراً وفجأة نوعا من الجمال عجيباً في طبيعته وهذا هو الجمال الذي لأجله تكبدت كل هذه المشاق. وهذا الجمال خالد ولا يمكن إنتاجه ولا يمكن إهلاكه ولا يمكن زيادته ولا نقصه وهو لا يشبه الأشياء الأخرى في أنه جميل من جهة ومشوه من جهة أخرى وليس جميلا بالنسبة لشيء ومشوهاً بالنسبة لشيء آخر وليس هو جميلا هنا ومشوهاً هناك وليس جميلا في اعتبار إنسان ومشوهاً في اعتبار إنسان أخر ولا يمكن تصور هذا الجمال للذهن كتصور جمال الأيدي والوجه أو أي عضو من البدن أو تصوره كجمال علم من العلوم. وليس له وجود معين وليس في الأرض أو في السماء أو في مكان آخر ولكنه على الدوام ذا شكل واحد ثابت لا يتغير ملائم لذاته.

وكل الأشياء الأخرى جميلة بواسطته مع فرق واحد وهو أنها عرضه للإنتاج والهلاك ولكنه ليس عرضة للزيادة والنقص وهو ممتزج بالحقيقة ذاتها. فهو يخرج الفضيلة ذاتها ويتغذى بها ويصبح عزيزاً لدى الأرباب فإذا صحت هذه النعمة لبشر كان هو لا شك خالداً غير فان.

هذا هو يا فيدروس ما قالته لي تلك النبيه الغريبة وقد اقتنعت بقولها فشغلت نفسي من ذلك الحين بإقناع الآخرين بأنه لا يوجد رفيق غير الحب لإيجاد الاتصال بين الخلود وبين طبيعتنا البشرية الفانية لذا أطلب من كل منكم أن يكرم الحب ويشرفه ولهذا أنا الآن أحمد الحب على قدر استطاعتي وهذا المقال الذي قلته هو هدية وثناء وصلاة مني إلى الحب. "

* * *

فأثنت الجماعة على خطاب سقراط وهم أريسطو فان بإبداء ما عن له بشأن ماورد على لسان سقراط متعلقا به وإذا بباب الدخول يقرع قرعا شديداً ثم استأذنت عليهم جلبة تشبه جلبة السكارى المعربدين في صحبتهم زمار. فقال اجاثون لخدمه "اذهبوا يا غلمان وانظروا من الطارق فإن كانوا أصدقائنا فرحبوا بهم وإلا فأخبروهم أنا فرغنا من الشراب" وبعد ذلك بلحظة سمع المجلس صوت السبياديس في المدخل وهو على أشد ما يكون من السكر يزأر قائلا:

أين اجاثون؟ خذوني إليه! فأخذ الزمار وبعض أصدقائه بيده ووقفوه مستنداً إلى دعامة الباب وكان على رأسه إكليل من حبل المساكين والبنفسج وعلى رأسه كمية كبيرة من العصائب فصاح قائلا أحييكم أيها الرفاق إنني شربت كفايتي ولكن إذا شئتم أن أشرب معكم فلا مانع فإذا لم ترغبوا في الشراب فإنني أنصرف بعد تتويج اجاثون لأنني ما جئت إلا لهذا الغرض أؤكد لكم أنني لم أستطع الحضور أمس و لكنني جئت الليلة وحول صدغي تلك العصائب ليتيسر لي أن أستعين بها في تتويج ذلك الذي أستمحيكم عفواً إذا وصفته بأنه أجمل الرجال وأحكمهم أتضحكون من سكري؟ أجل إنني أعرف أنني أقول الحق أضحكتم أم لم تضحكوا ولكن قولوا هل تأذنون لي في الدخول أم لا. وهل تشربون معي؟

فأظهر اجاثون والجماعة رغبتهم في دخوله وطلبوا إليه أن يتكئ بينهم فدخل مأخوذا بيده من شدة سكره ثم حل رباط رأسه ليتوج به اجاثون. وكان سقراط حياله مباشرة ولكنه لم يبصر به وجاء مجلسه بين سقراط واجاثون وقد تحرك سقراط ليفسح له متكأ." فلما جلس ضم اجاثون إلى صدره ثم توجه وطلب اجاثون إلى عبيده أن

يحلوا رباط نعليه ليتيسر له أن يتكئ على وسادة واحدة بين سقراط واجاثون فقال السيباديس لما سمع أنه ثالث أثنين على وسادة واحدة أني أود ذلك ولكن من يكون ثالثنا ثم التفت فأخذت عينيه بسقراط فطفر السيباديس وصاح أي هرقل! من هذا الذي أرى. أنت يا سقراط! متربص لي في كل مكان ثم تلقاني دائماً حيث لا أنتظر لقاءك. أما وقد فرغت من هذا فقل لي ماذا جاء بك إلى هنا؟ ولماذا اخترت أن تتكئ في هذا المكان دون سواه؟ ولم تختر جوار أرسطو فان أو غيره ممن يتساهلون في أن يكونوا موضع سخرية بل توصلت بحذق إلى الاتكاء بجوار أظرف الحاضرين وأحلاهم؟ فقال سقراط: هيئ يا اجاثون دفاعاً عني أنني لا اكتم أن صداقتي لهذا الرجل أمر وبيل. فمذ عرفته لم أستطع أن أحادث سواه بل لم يتم لي أن أنظر إلى غيره. فإذا فعلت فإنه يغار غيرة شديدة ويستسلم للإغراق في أظهار استيائه ويندر أن يصون يده عن ضربي. أتوسل إليكم أن تعوقوه عن مثل هذه الفعال في هذا المجلس. توسط في الصلح فقد وكلتك عني فإذا لم تهدأ سورة غيرته وغيظه فاستعد للدفاع عني. فقال السيباديس لا أريد مصالحتك وسوف انتهز فرصة أخرى لعقابك على ما حدث منك الليلة. ثم التفت إلى اجاثون وقال له أعرني بعض هذه العصائب لأتوج الهامة العجيبة التي يحملها بين كتفيه ذاك الذي ألام على أنني توجتك وأغفلته وهو الذي غلب كل الرجال بخطبه ليس أمس كما فعلت فحسب بل في كل وقت. قال هذا ثم أخذ بالعصبة وربط رأس سقراط ثم اتكأ وقال: أنتم يارفاق في صحو فلا تضجروا بل اشربوا لأنكم اتفقتم معي على المنادمة. وإنني أنتخب لهذا المجلس نفسي رئيساً إلى أن تسكروا. اجاثون! إلي بكبرى طاساتك، ولكن لعل هذا الوعاء المملوء نبيذا مبرداً يكفيني على به يا غلام! فلما رأى أنه يسع أكثر من ثماني كؤوس عامرة شرب ما فيه عن آخره ثم أمر أن يملأ لسقراط ثم قال انتظروا أيها ألإخوان إنني لا أستطيع أن أدبر حيلة على سقراط لأنه يستطيع أن يشرب على قدر رغبة من يشاء ثم هو بعد ذلك لا يسكر ولا يفقد توازنه.

فلما ملأ الغلام الوعاء شربه سقراط عن آخره فقال اريكسماكوس أيبقى شرابنا بغير مسامرة أو طرب فنكتفي بالشراب الساذج خلوا من المؤانسة وهذه خلة الظمآن. فقال السباديس"اريكسماكوس! لم أرك من قبل! تحية أيها الولد البار من والد أبر" أجاب أريكسماكوس تحية لك أيضاً و لكن ماذا نحن فاعلون؟ قال السباديس نفعل ما تأمرنا به لأنه ينبغي لنا أن نخضع لإرشادك لأن الطبيب يعدل مائة من سائر الرجال فمرنا بما تشاء. قال اريكسماكوس قبل أن تدخل علينا اتفقنا

على أن يلقي كل منا خطاباً بليغا في الثناء عن الحب مبتدئين بالجهة اليمنى وقد قام وكل منا بعهده إلا أنت فقد شربت معنا ولم تتكلم ويجب عليك أن تقوم بحصتك في الحديث فإذا فرغت من ذلك فما عليك ألا أن تأمر سقراط بما تشاء وهو يأمر جاره من اليمين بما يشاء وهكذا دواليا. قال السباديس أن في اقتراحك نصيباً من العدل يا اريكسماكوس وأن كان من الإجحاف أن ترغم السكران علي مناظرة من لم يسكروا. ثم هل أقنعك سقراط بصحة ما قال عني. أم أنت لا تعلم أن الأشياء على عكس ما يصورها لنا. فإنني أعتقد بجد أنني إذا مدحت في حضرته آلها أو بشراً سواه فلن أسلم من ضربه ولكنني أؤكد لك يا سقراط أنني لن أثني في حضرتك على أحد سواك.

فقال اريكسماكوس. أفعل هذا أذن. امدح سقراط إذا شئت فقال السباديس هل اطعن عليه وأعاقبه على مرأى ومسمع منكم جميعا؟ فقال له سقراط ما الذي تضمره لي؟ هل عزمت على الهزء بي ووصفي بما ليس في أم ماذا؟ قال السباديس سأقول الحق ليس ألا. اتسمح لي. قال سقراط أنني لا أسمح لك بقول الحق وحده بل أشتد في مطالبتك بأن تقول الحق كله.

السيباديس _أطيعك عن طيب خاطر. وإذا ذكرت شيئاً مخالفاً للحقيقة فعقني عن إتمام الحديث وأقنعني بخطأي لأنني لا أحب أبدا أن أقول غير الحق بعلمي. واحتملني إذا لم أذكر الأشياء على ترتيبها الحقيقي بل بترتيب تذكري إياها لأنه لا يسهل على من كان في حالي أن يعدد بالنظام والدقة جميع غرائبك وشواذك.

أنني أبدأ بالثناء على سقراط بتشبيهه بتمثال معين. لعله يظن أنني أذكر هذا التمثال على سبيل السخرية. ولكن أؤكد لكم أن هذا ضروري لصدق تصوير الحقيقة. أقول إن سقراط يشبه تلك السيلون[1] التي تجلس في مصنع الحفار وتنحت وهي تحمل مزامير فإذا شقت نصفين وجدت داخلها تماثيل الآلهة أؤكد أن سقراط يشبه "إنسان الغابة " مارسياس. أما أن شكلك ومظهرك يشبهان شكل" إنسان الغابة" ومظهره فأمر لا تستطيع نكرانه وأما أوجه الشبه الأخرى التي بينك وبينه فاسمعها الآن مني. ألست شديد السخرية حاد الطبع؟ إذا أنكرت هذا فإنني مستعد لإثباته بكل الطرق بما في ذلك البينة. ألست زماراً؟ بل أنك أبرع وأحذق في الزمر من مارسياس لأن مارسياس وكل من يزمرعلى طريقته أنما يسحر الناس بقوة الفم. وأي موسيقار حاذقاً كان أو غير حاذق يطلق هذه الموسيقى فإنها وحدها كفيله بأن تسوده على

عقول الرجال. ومن ربانية طبيعتها تظهر من كان محتاجاً للآلهة أو للدخول في حظيرة الأسرار الإلهية. ولكنك تختلف عن مارسياس في أمر واحد. وهو أنك تفوز بمأربك بغير أداة بل بالألفاظ التي تنطق بها. لأننا إذا سمعنا برقليس أو غيره من الخطباء الفصحاء فلا نأبه له ولكن إذا سمعك أحد أو سمع حديثاً مروياً عنك مهما كان الراوي سخيفاً رجلا كان أو طفلا أو امرأة فان كلماتك تقع من قلبه أعظم موقع. وإذا لم أكن أخشى من شدة سكري لأكدت لكم قولي بقسم عن الأثر الغريب الذي كان لكماته في نفسي لأنني إذا سمعته يتكلم فإن قلبي يخفق أشد من خفقان قلوب المحتفلين بالخفايا القوريبانية. ثم تجود عيناي بالدموع كلما أستمر في الكلام وقد رأيت مثلي كثيرين يبكون أذا سمعوا كلامه خشوعاً وطربا. لقد سمعت برقليس وغيره من الفصحاء ولكن لم يلحقني شي من هذا ولم تضطرب نفسي ولم تمتلئ تأنيباً لذاتها كما لو أنها ذلت وأمتهنت وطرحت في الحضيض كما يصنع بالأرقاء ولكن هذا "المارسياس" الحاضر قد فعل بي هذا الذي أصف إلى أن احتقرت حياتي واعتبرت أن عيشي لا خير فيه. لا تنكر هذا يا سقراط. لأنني أعلم بيقين أنني إذا شئت الآن أن أسمع لك فلن أستطيع المقاومة. فتعروني تلك الهزة التي وصفت ويحدث في نفسي الأثر الذي ذكرت لأنه يا أصدقائي يضطرني إلى الاعتراف بأنني على الرغم من حاجتي إلى أمور كثيرة أهمل شؤوني الضرورية وأهتم بأمور أهل أثينا فأضع أناملي في أذاني كما يصنع من يخشى سماع فتاة البحر وأفر إلى أقصى ما يمكنني خشية من الجلوس إليه فأشيخ وتبيض مفارقي من هول ما أسمع منه. لأن هذا الرجل جعلني أشعر بعاطفة الخجل التي ما كان يتهمني بها أحد. وهو وحده يوحي إلي الندم والوجل لأنني أشعر في حضوره بعجزي عن دحض أقواله. ورفض ما يأمرني به. و لكنني إذا ابتعدت عنه فإن المجد الذي يغمرني به الشعب يلهمني ويغلبني فلذا أفر وأختفي عنه فإذا رأيته غلبني الخضوع والذل لإهمالي تنفيذ ما اعترفت له بضرورة فعله وكثيراً ما منيت نفسي بفقدانه واختفائه أبدا من هذه الدنيا. ولكن إذا حدث هذا لا قدرت الإلهة فإن آلامي إذن لن يكون لها حد لأجل هذا ترونني لا أدري ماذا أفعل بهذا الرجل كل هذا قد تحملته أنا وغيري من زمر هذا "المارسياس" ولاحظوا كيف أنه يشبه الذي ذكرت كل الشبه وكيف أنه ذو قوة عظيمة. أعلموا أنه ليس بينكم من يعلم طبيعة سقراط الحقيقية وحيث إنني بدأت

١- تمثال زوج أم باكوس ممتطيا برذونا .

وصفه فسأستمر في إظهار حقيقته لكم. لا يخفي عليكم أن سقراط شغوف بعشرة أهل الجمال والاختلاط بهم وأنه دائما يتظاهر بالجهل وهذان مظهران يقربانه من سلنوس في الغاية القصوى وهذا هو يا أصدقائي الشكل الخارجي الذي تدثر به وكأنه في ذلك أحد تماثيل سيلنوس. فإنكم إن شققتم عن مظهره الخارجي إذن لوجدتم الصحو والإفاقة والاعتدال والحكمة.لأنه لا يعني بالجمال في ذاته بل يحتقر كل المظاهر الخارجة سواء كانت جمالا أو مالا أو مجداً أو أي شي أخر مما يتهافت عليه الناس ويهنئون بعضهم بعضا على إحرازه والتمتع به. وهو يعتبرنا نحن الذين نمجد هذين الشيئين كلا شيء ويعيش بيننا هازئا بكل ما يعجب به الناس ويعتزون به على أنني لا أدري إن كان أحدكم قد هيئ له أن رأى التماثيل الإلهية الكامنة في قلب هذا الرجل فتمتع به وهو مفتوح القلب جاد غير هازل أما أنا فقد رأيتها فإذا هي على أعظم جانب من الجمال والأبهة والفخار لدرجة أن كل شيء يأمر به سقراط لابد من تنفيذه كما لو كان أمره صادراً عن إله لقد كنا رفيقين في الجندية كان لنا خوان ومقصف أمام بوتيديا وقد غلبني سقراط وفاقنا جميعا في تحمل مشاق الحرب. وإذ كانت مؤنتنا تشرف على النفاد كما هي العادة في كل معسكر فلم يكن أحد بيننا بأقدر على تحمل الآم الجوع من سقراط. ثم إذا توافرت المؤونة لم يكن تلذذ أحد بطعام الجند بأعظم من تلذذ سقراط. ولم تكن عادته الإفراط في الشراب برغبة ولكن إذا أرغم فكان يفوقنا في الشراب بغير سكر والمدهش أن سقراط لم ير أبداً في حالة سكر بعد إقلال أو إفراط.

وفي منتصف الشتاء(وإن برد الشتاء لقارس في تلك الإنحاء) كان يحتمل بهدوء صنوفاً من المصاعب لا يمكن تصورها. ذلك أنه كان إذا أشتد الصريب وبلغ الصقيع درجة لا تطاق بحيث لا يستطيع أحد من الجند الخروج من الخيام فإذا خرجوا تدثروا وتلفعوا بأعظم اعتناء ولفوا أقدامهم وأرجلهم بالجلود كان سقراط يخرج بقبائه العادي ويسير حافيا على الجليد ثم يمشي بأسهل ممن يدفئون أقدامهم على ما ذكرت حتى إن الجند كانوا يظنون أنه يفعل ذلك ليهزأ بهم لعدم تجلدهم في الشدائد. ويحسن بي أن أحيي ذكر كل ما قام به هذا الرجل وكل ما تحمله أثناء تلك الحملة الحربية. فقد رؤي مرة في الصباح واقفاً في مكان معين غارقاً في التأمل. وكان يبدو عليه أنه عاجز عن حل المعضلة التي عرضت له واستمر وقوفه على هذه الحال حتى الظهر وقد رآه الجند وتهامسوا فيما بينهم من أنهم رأوه واقفاً منذ الصباح. ثم جاء بعض رجال أيونيا إلى تلك البقعة ثم تعشوا وأحضروا أغطيتهم من الصوف وناموا

في العراء لأن حر الصيف ألجأهم لهجرة الخيام. وقد لاحظوا أن سقراط بقي واقفاً على حاله الأولى طول الليل حتى الصباح فلما أشرقت الشمس حياها بصلاة ثم تحرك من مكانه وانصرف.

ولا يليق بي أن أغفل ذكر شجاعته في الحروب فإنه في تلك الموقعة التي حياني بعدها القواد بوسام الإقدام كان سقراط هو الذي أنقذ حياتي فأنا مدين له بنجاتي وسلامتي لأنه وقف بجانبي إذ كنت جريحا فصان حياتي وحمى أسلحتي من يد الأعداء وقد ألححت إذ ذاك على القواد أن يعطوا القوس باريها فيقلدوه ذاك الوسام لجدارته به وأنت يا سقراط لا تنكر أن القواد شاؤوا أن يحاسنوا رجلا من طبقتي فعزموا على تقليدي ذاك الوسام كذلك كنت أشد رغبة منهم في منحهم أياي الجائزة.

ولما هزم جيشنا وتشتت جموعه أيدي سبا في (دليوم) كان منظر سقراط رائعاً عجيباً خليقا بأن لا ينسى وكنت راكبا وكان هو من المشاة ومثقلا بالأسلحة فلما أسفرت هزيمتنا عن فناء جيشنا تقهقر سقراط ولاشيز فأدركتهما وشجعتهما برافقتي فما كان أعظم الفرق بين سقراط ولاشيز في سمو النفس وحضور البديهة والشجاعة. ولم تخطئ كثيراً يا أريسطو فإن في تمثيله على المسرح إذ كان يسير بثبات وينظر حوله برزانة وتؤدة آخذا بنظراته الهادئة أصدقاءه وأعداءه بلا فرق بحيث كان يظهر للبعيد عنه قبل القريب أن من يجازف بمهاجمته سوف يلقى مقاومة المستميت. وقد نجا وفريقه بسلام بفضل ثبات جأشه لأن الجنود المتقهقرة تقتفى آثارها وتقتل ولكن العسكري المنتصر يتردد دون أن يمس رجلا كسقراط كانت نظراته وثباته على ما ذكرت رغما عن انهزام طائفته.

إن لسقراط من الخلال العجيبة ما يستحق الثناء ولكن بعضها مشترك بينه وبين غيره من الناس ولكن ذاك الذي يميزه عن غيره هو مخالفته جميع الرجال وكونه أرفع من أن يقارن بهم فإن براسيداس كان مثل آخيل وبرقليس يقارن بنسطور وانتنور وكثيرون من الأقدمين تمكن مقارنتهم برجال من نوعهم أما سقراط بشخصه وخطبه فلا يمكن تشبيهه بأحد إلا إذا شبهناه بسيلنوس وإنسان الغابة. إن من يسمع حديث سقراط يخيل له في أول الأمر أنه مضحك جداً فإن الألفاظ والجمل والتعبيرات التي يستعملها تدل على أنه ساتير لعوب (ساتير هو مخلوق خرافي نصفه إنسان ونصفه ماعز) فهو لا ينفك عن ذكر حمير السوق وصب النحاس وقطع الجلد فإذا سمعه بليد غير واع فإنه يضحك منه. فإذا أتيح للسامع استنباط المعاني

الخفية من عباراته الظاهرة تبين له أنها خير ما يقال ويسمع وأن كل ما عداها مما يستأذن على الأذن لا قيمة له في جنبها وانها معان عميقة فاتنة مقنعة روحانية المنحى وأنها تطرح أمام فكر السامع صوراً بديعة فاخرة وأنها تؤدي بالعقل إلى أسمى درجات التفكير هذه الصفات السقراطية التي دعتني إلى امتداحه والثناء عليه. فلما فرغ السيباديس طرب الجماعة وضحكوا من حرية فكرة أما سقراط فقال:

"يلوح لي أنك يا السباديس وإلا ما تيسر لك أن تتم هذه الدورة الكلامية وأنت تضمر غايتك وتخفيها وراء ألفاظك التي عليها مسحة البساطة وحسن النية وحقيقة مرادك التفريق بيني وبين اجاثون أنت تظن أنه يجب على أن أكون صديقك دون غيرك وإلا ما احتلت لاختلاق هذه الرواية الساتيرية السلنية (نسبة إلى ساتيروسلينوس). ولكن يا عزيزي اجاثون حذار من حيلته وأتوسل إليك أن لا تجعل أحدا يفوز بالتفريق بيني وبينك" قال اجاثون لاشك في مقاصده فقد جاء وجلس بيننا ليفرق بيني وبينك وها أنا أدنو منك لأكون بجانبك دونه قال سقراط هذا مكان لك في جنبي فصاح السباديس أيها المشتري ما أشد ما أحتمل من ذلك الرجل! إنه يريد الغلبة في كل سبيل. أرجوك أن تترك اجاثون بيننا قال سقراط هذا محال لقد مدحتني لأنني على يمينك وواجبي يقضي بأن أمدحه لجلوسه عن يميني. أما إذا جلس بجانبك فسيقتضي مجلسه أن يثني علي قبل أن أثني عليه فقال اجاثون دعني يا السباديس أغير مجلسي لأفوز بمدح سقراط أياي ثم نهض اجاثون وجلس بجانب سقراط ولم يوشك أن يفعل ذلك حتى غشي المجلس جماعة من السكارى فاختلط الحابل بالنابل واضطرب نظام المجلس فانسحب أريكسماكوس وفيدروس وغيرهما.

قال اريسطو ديمس _أما أنا فقد غلبني النوم ولم أتيقظ الا لدى صياح الديك وإذا باريسطوفان واجاثون وسقراط لا يزالون يشربون ويتبادلون فيما بينهم طاسا واحدة وكانوا يتناقشون وقد انتهت مناقشتهم بأن قال سقراط لصاحبيه إن من يقدر على وضع الرواية المحزنة قادر على وضع المبهجة لأن أصول الصنعتين (التراجيدي والكوميدي) واحدة ثم نام اجاثيون واريسطوفان اما سقراط فلم ينم فقد نهض وتبعته إلى أن بلغ ليسيوم فاغتسل كعادته وقضى يومه وعند المساء ذهب إلى أهله.

انتهت مائدة أفلاطون وكل نسخة بختم المؤلف والناشر

مطابع الأهرام ٦ أكتوبر - التجارية - مصر



أفلاطون فيلسوف يونانى ولد عام ٤٢٨ ومات عام ٣٤٧ قبل ميلاد السيد المسيح عن ٨١ عاما، وهو أحد أضلاع المثلث الذى يضم غيره سقراط وأرسطو الذين وضعوا الأسس الفلسفية للثقافة الغربية وتنطلق فلسفة أفلاطون المثالية من فكرة محورية هى أن للمعانى أو القيم العليا وجودا فى عالم لا يدرك بالضرورة بالحواس وإن وجودها مستقل عن وجود الجزئيات التى تتمثل فيها.

كتب أفلاطون معظم مؤلفاته على شكل محاورات تعالج موضوعات مختلفة، كان من أشهرها كتاب «الجمهورية» الذى رسم فيه صورة للمدينة الفاضلة كما تخيلها معلنا أنه لاصلاح للجنس البشرى الا إذا أصبح الفلاسفة حكاما أو أصبح الحكام فلاسفة.

«وكلام فى الحب» هى إحدى محاورات «أفلاطون» التى تتناول رؤيته للعلاقة بين الرجل والمرأة على الصعيد الفلسفى.

ترجم هذه المحاورة كاتب ومترجم ومفكر من ألمع مثقفى القرن الماضى هو «محمد لطفى جمعه» بشكل مختلف عما تعوده القراء فى الكتب المترجمة، فهو لا يترجم النص ترجمة حرفية ولا يتوجه به المتخصصين فى الفلسفة، ولكنه ينقله الى اللغة العربية، ويزوده بالشروح لكى يسير على القارىء العام والمثقف غير المتخصص فى الفلسفة إمكانية فهمه .. ويقدم له بدراسة مطولة عن تاريخ الفلسفة اليونانية، وعن مكانة أفلاطون فى هذا التاريخ.